صورة لعبد الكريم قاسم
في عيد الشجرة

بغداد قبل 100 عام

أسرار تنصل الزهاوي من مقال كتبه عن المرأة

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

العدد (2208) السنة الثامنة
الإثنين (1) اب 2011

4
الكرخي.. عميد الشعر الشعبي

لقاء مع الباحث المحقق الأستاذ عبود الشالجي

لقاء اجراه الاستاذ
عب الحميد الرشودي

في مجلس أدبي مصغر، من مجالس بغداد، العامرة بالخير، المعمورة بالسلام والكلمة الطيبة، شهدته دار الأديب الحقوقي عبد المحسن البغدادي، ضم نخبة من الادباء والكتاب والمعنيين بالتراث بينهم: الدكتور عبود البلداوي، والدكتور كاظم السعيدي، والاساتذة: عبد الحميد الرشودي وعبد الرزاق الجزار، وحسين الكرخي، وسالم الآلوسي، تعرفت خلاله على الأستاذ الباحث المحقق عبود الشالجي المحامي.

وقبل سبع سنوات – على وجه التقريب – ناولني الأستاذ ميخائيل عواد – عضو المجمع العلمي العراقي، ورقة صغيرة، كتب بخطه على احد وجهيها (مشوار المحاضرة للقاضي التنوخي – ثمانية أجزاء – تحقيق الأستاذ عبود الشالجي)، وعلى وجهها الآخر (الفرج بعد الشدة – للتنوخي – خمسة أجزاء – تحقيق الشالجي أيضا) ثم قال: "حاول أن تقرأ هذه الكتب، وان تتعرف على محققها الصديق الشالجي".

× وانني مازلت احتفظ بتلك الورقة، وكأنها (عملة ورقية) ذات قيمة نقدية وأثرية عالية!.

× وكان الاستاذ الشالجي يومها خارج العراق، يستجمع، ويؤلف ويحقق ، وكنا نسأل عنه ونتفقد أخباره، ونطالع ما يصل الينا من نتاجاته الأدبية والتراثية العديدة.

× وأخيرا، ومنذ بضعة أشهر، عاد القاضي التنوخي الوريث الى ارض الوطن، يحدوه الحنين الى العراق، فسعد به اهله وأصدقاؤه وعارفو علمه وفضله وأدبه، وسعد بهم (قور عينا بالإياب المسافر)، وكانت زيارات ولقاءات، توطدت بيننا المعرفة، وأنشدت علاقة وصداقة (والأرواح جنود مجندة: ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف) كما ورد في الحديث الشريف لسيد الأنام، الرسول المصطفى محمد بن عبد الله الأمين (ص).

× ثم كان هذا اللقاء...

××××

× قال الاستاذ الشالجي (أبو حازم) يروي لنا سطر من سيرته العلمية والذاتية، بناء على طلبنا.

– انا عبود بن مهدي بن محمد بن احمد الشالجي، وأهلي من المزارعين في مدينة (شلج) احدى المدن الواقعة على نهر الدجيل، فلما انقطع الماء على الدجيل، تفرق أهل شلجي البلدان ، ونزح جماعة منهم إلى بغداد، واستوطنوها واستقروا في نواحيها ، فاقام بعضهم في الكاظمية، وبعضهم في الأعظمية، وأقام الباقون في مواضع متفرقة من بغداد، وأقام أهلي في منطقة (عمار سبع بكار).

– أكملت التحصيل الابتدائي والمتوسط في المدرسة الجعفرية، وأكملت الدراسة الثانوية في المدرسة الرسمية، وانتسبت في السنة ١٩٢٦/٢٧، إلى كلية الحقوق، وتخرجت فيها في السنة ١٩٣٠/٢٩ ، وكنت إذ ذاك – كاتبا في مجلس النواب، وكنت ممن دون خطبة المرحوم عبد المحسن السعدون، تلك الخطبة التي انتحر على أثرها، وفي السنة ١٩٣١ انتقلت على اثر تخرجي في كلية الحقوق إلى المحاكم (كاتب ضبط) وكنت كاتب الضبط في قضية (المكاتب السرية) المشهورة التي اتهم بها المرحوم مزاحم الباجه جي ورفاقه (وفي مكان اخر من هذه الصفحة بعض إيضاحات المحرر عن هاتين القضيتين الهامتين والمهمتين).

– وعينت في السنة ١٩٣٣ حاكما في المحكمة المدنية، وفي السنة ١٩٤٠ انتقلت الى المحاماة، وفي السنة ١٩٦٤، احلت نفسي الى التقاعد وقد بلغت الستين من عمري ، وانتقلت الى لبنان حيث تفرغت للقراءة والكتابة، وأخرجت لقراء العربية خمسة وعشرين مجلدا، منها (١٤) مجلدا من تحقيقي، واحد عشر مجلدا من تأليفي.

× أي هذه المجلدات تأليفا، وأيها تحقيقا؟

– التحقيق هذه الكتب: (مشوار المحاضرة وأخبار الذاكرة) للقاضي التنوخي (٨ مجلدات)، و(الفرج بعد الشدة) له ايضا (٥ مجلدات) ، و١٠الرسالة البغدادية) لابي حيان التوحيدي (مجلد واحد).

– اما التأليف فهي: (الكتابات العامية البغدادية) مجلد واحد، و(موسوعة الكنايات العامية البغدادية (٣ مجلدات)، و(موسوعة العذاب) ٧ مجلدات .

× وفي البدايات الأولى، كيف تعلقتم بالأدب العربي؟

– يرجع الفضل في تعلقي بالأدب العربي إلى أستاذين جليلين هما: السيد صادق الملائكة رحمه الله، استأذنا في علوم العربية في المدرسة الجعفرية، والسيد طه الراوي رحمه الله، استأذنا في علوم العربية أيضا ولكن في المدرسة الثانوية (المركزية).

×××

× ما الذي حبب القاضي التنوخي إليكم؟ .. وما هي أوجه الشبه بينك وبينه؟

– إعجابي أولا بأسلوبه في الكتابة، وفي إيراده الحوادث: أما أوجه الشبه الموجودة بيني وبينه فقد كان قاضيا، وكنت كذلك، كان متأدبا وكنت كذلك، وكان بعيدا عن خوض غمار السياسة، وكنت كذلك وكان ينظم شعرا متوسطا، وكنت كذلك، وكان قد ترك موطن سكناه حينا من الزمن وكنت كذلك. وقد دفعني إعجابي به إلى السير على غراره في (مشواره) اذ دونت فقرات اشتملت على الف فقرة في مواضيع شتى، وكنت على وشك ان اقوم بنشرها، إلا أن الزمن تعداها!.

×××

× كان المستشرق الألماني (ادم ميتز) قد حقق رسالة تنسب إلى أبي المطهر محمد بن احمد الازدي، ونشرها تحت عنوان (حكاية ابي القاسم البغدادي) وقمتم انتم بتحقيق مجددا ونشرها بعنوان (الرسالة البغدادية، وقد ترجح لديكم أنها لأبي حيان التوحيدي.

السؤال: ما هي دلائل صحة ما ذهبتم اليه؟

– أيد لي بالدليل القاطع بان ما نشره (ادم ميتز) باسم، حكاية أبي القاسم البغدادي، هو (الرسالة البغدادية) للتوحيدي، وقد فصلت ذلك في مقدمتي للرسالة، ولك أن تلخصها للقراء، زيادة في الإيضاح (لخصناها الى جانب هذا الحوار في زاوية – مقدمات الكتب).

×××

× شرعتم بتحقيق ديوان (الحسين بن الحجاج) منذ مدة ليست بالقصيرة، فما هي المراحل التي قطعتموها في هذا الصدد؟

– عندما حققت الرسالة البغدادية، وجدتها مشحونة بشعر ابن الحجاج ، ولكنه كان شعر المبازل الذي أفرط فيه بذكر العورات، فلم استحسنه ولم أرحب به، ولكني بعد أن انتقلت إلى لندن، وجدت في مكتبة المتحف البريطاني، نسخة لجزء الثاني من ديوانه، ووجدت في مكتبة جامعة لندن، الجزء العاشر منه، فتغير رأيي في هذا الشاعر، وفي شعره، اذ وجدت فيه ما يؤهله ليكون في عداد العظماء من الشعراء، كما وجدت أن عددا من الأدباء قد عنى بدرس شعر ابن الحجاج، وكتبوا عنه أطروحات، نالوا بها شهادة الدكتوراه من جامعات فرنسا وانكلترا والمانيا، وبدأت بالبحث عن الكتب التي اجد فيها أجزاء من شعره، وجمعت ما استطعت جمعه، ففوقت الى جمع معظم شعره من ثلاثة عشر موضعا في العالم، ومازلت أمل أن احصل على الديوان بأجزائه العشرة ، إذ ان الحاج خليفة، وهو من المتأخرين (ت ١٠٦١ هـ) ذكر في كتبه (كشف المظنون): انه رأي ديوان ابن الحجاج بمجلداته العشرة في مكتبات اسطنبول، وقد بذلت جهدي في البحث عن شعر هذا الشاعر، وكتبت الى سائر الأفاق، قد لقيت من الجهات التي راجعتها عناية تامة ورعاية مشكورة، إلا من القائمين على المكتبات في مصر العربية، فقد لاقيت صعوبات وعدم اهتمام، وكان أعظمهم إهمالا الأستاذ محمود الجالي، أمين المخطوطات العربية في القاهرة، فقد كتبت اليه مرارا وتكرارا – بالبريد المضمون – اطلب اليه اعلامي ما لديه من شعر ابن الحجاج، وبالشروط والتراتيب الذي يرسمه، فلم يرد علي بشيء، وكنت في كل مرة أقول له: إن الله فرض على العلماء أن ينشروا على الناس ما يعلمون، كما فرض على خزان العلم أن يكشفوا عما لديهم لمن أراد من طلاب المعرفة، إلا أن السيد لم يعر محاولاتي أي اهتمام ولم يكلف نفسه حتى بالرد والإجابة!.

×××

× طبعت لكم موسوعة بثلاثة أجزاء عن "الكتابات العامية البغدادية" في أوائل الثمانينيات في بيروت، إلا أن شيئا منها لم يصل إلى العراق، فما السبب؟

– طبعنا من هذه الموسوعة الف مجموعة فقط، بيعت في لندن، ونفذت أعدادها، وأرجو أن أوافق لإعادة طبعها والإضافة إليها، إذا تيسر في ذلك!!.

×××

× ماذا عن كتابكم (المائدة في الإسلام) ؟.. وهل تم طبع موسوعة (العذاب).

– كتاب "المائدة في الإسلام"، ومؤلفات لي أخرى عددها عشرة في ثلاثة عشر مجلدا ، أحرقت وهي مسودات لحرقها غزاة بحدود، وبعضها قد صفت حروفه، واعد للطبع فأضاع من احرقها على جهد العمر، وحرم المكتبة العربية من مؤلفات طريفة جدا، ومنها ما لم يسبقني إليه احد!..

× ما هي هذه الكتب؟

١– الرواتب في الإسلام (مجلد واحد).
٢– المائدة في الإسلام (مجلد واحد).
٣– الأثمان في الإسلام (مجلد واحد).
٤– الصداق في الإسلام (مجلد واحد).
٥– تطور الطب والجراحة في الإسلام (مجلد واحد).
٦– الألقاب (مجلد واحد).
٧– الخبر بن صاحب الخبر وصاحب البريد (مجلد واحد).
٨– طرائف – ثلاثة مجلدات ما عاينت ما سمعت، ما قرأت.
٩– آخر ما قالوا (مجلد واحد).
١٠– كيف ماتوا؟ (مجلد واحد).

وفي موسوعة (الكنايات العامية البغدادية)

مقتطفات من هذه المؤلفات الضائعة، من قراها ادرك مقدار الخسارة التي اصيب بها القارئ العربي من وراء احرقها!.

×××

× ورد في الجزء الثاني من (معجم المؤلفين العراقيين) للأستاذ كوركيس عواد (ص/ ٣٧٠) إنكم قمتم بترجمة كتاب (أحوال بغداد في القرن التاسع عشر)، ونشرتموه سنة ١٩٦٠ فلمن هو؟ وما مضمونه؟

– لم أقم بنشر كتاب بهذا الاسم، وانم ترجمت كتابا لمؤلف امريكي اسمه (بيري فوك) قام برحلته الى العراق وكتب في رحلته كتابا بالانكليزية سماه "غربستان او بلاد الف ليلة وليلة" وهو كتاب طريف جدا وصف فيه رحلته الى العراق في السنة ١٨٧٢ حيث زار الوالي مدحت باشا رحمه الله. الذي خلف الوالي مدحت باشا رحمه الله.

ومن طريق ما في هذا الكتاب انه نشر عدة صور (فوتوغرافية) لما شاهد في بغداد، منها أيوان كسرى، وواجهة جامع مرجان قبل فتح (خليل باشا جادة سي) ، وصورة للوالي رديف باشا بطربوشه ولحيته ومعطفه الذي يصل الى الركبة!.

وقد اقتطفت فقرات من هذه الرحلة في موسوعة الكنايات العلمية البغدادية كما سبق ان نشرت شيئا منها في مجلة (سومر)، وكنت قد تنازلت عن حقوق نشر هذه الترجمة الى مؤسسة فرانكلين.

×××

× كانت لكم في بدايات نشاطكم الادبي ، ترجمات لبعض الرسائل التي كتبها السياح عن بغداد خاصة، وع العراق عامة ، في العهد العثماني فهل في نيتكم جمعها وإعدادها للنشر باعتبارها من المصادر المهمة لحالتنا الاجتماعية والثقافية والسياسية تلك العهود المظلمة!.

– كنت ايام عملي في المحاماة يتسنى لي أن أقوم بأي عمل ثقافي من تأليف أو تحقيق أو ترجمة، وصدرا من الليل في لقاء الاخوان ، رعاية الأولاد، وكنت اقرأ ما ارغب بقراءته ما بين منتصف الليل والثانية صباحا، ولكن توار فرض عدا التجول في ايام عيد الكري قاسم أتاح لي الفرصة لكي أترجم بعض من أعجبني من الرحلات منها رحلة (لوفنتس) الانكليزي في السنة ١٨٤٩ وكان رئيسا للهيأة الجيولوجية البعثة الانكليزية التي اشتركت تحديد الحدود بين العراق (الدولة العثمانية) وايران، تطبيقا لبنود معاهدة ارضروم وقد استعرت الكتاب من مكتبة المتحف العراقي وعنوانه (رحلة الى اور وسوسيانه وهو من نفائس الكتب وقد ترجمت منه ثمانية فصول، وحين رفع الختم التجوال ، انقطعت عن ترجمة بقية الفصول، واقتطعت فقرات منه الى كتابنا (موسوعة الكتابات العامية البغدادية).

هوامش

الخطاب الأخير للسعدون.. ثم الانتحار

قضية (المكاتيب السرية) أمام المحاكم.. والملك فيصل الأول يتدخل، ويأمر بغلقها؟!

× ذكر الأستاذ الشالجي في هذا اللقاء، انه كان ممن شارك بضبط الخطاب التاريخية الأخير للمرحوم عبد المحسن السعدون، رئيس الوزراء، في مجلس النواب الذي انتهى بانتحاره فيما بعد.

× هذا الموضوع، ذكره الأستاذ المؤرخ عبد الرزاق الحسن في كتابه الكبير (تاريخ الوزارات العراقية) ج/ ٢ كما يأتي:

في جلسة مجلس النواب (١١ ت ٢ ١٩٢٩) اعلن رئيس المجلس ان المادة الاولى من منهاج الجلسة ستكرس لمناقشة تقرير لجنة العريضة الجوابية على خطاب العرش، فاندفع بعض نواب المعارضة الى التنديد بسياسة حكومة السعدون (الرابعة/ ايلول –ت ٢ ١٩٢٩) واتهامه بالتراجم عن مطالب الشعب!.

فالقى رئيس الزراء (السعدون) خطابا أورد فيه هذه العبارة : "إن نيل الاستقلال، تابع إلى جرأة الأمة، فالأمة التي تريد الاستقلال يجب ان تتهيأ له، ولايكون ذلك بالكلام والاقوال الفارغة، فالاستقلال يؤخذ بالقوة والتضحية"؟

وق سعى المتصيدون في الماء العكر، بالوشاية ضده لدى دار الاعتماد البريطانية، وإذا بوكيل المندوب السامي (الميجريانك) يزوره غداة تصريحه ويعاتبه بعنف وخشونة، ولما كان السعدون سليل اسرة عربية نبيلة، وزعيم قبيلة عريقة، فانه اثر الموت على الحياة، ففي مساء ١٣ ت ٢ ١٩٢٩ اطلق على نفسه عدة أطلاقات نارية أردته قتيلا في الحال، بعد أن كتب وصيته الى ابنه (علي).

×××

× والقضية الثانية التي اشار اليها الشالجي في هذا اللقاء هي قضية (المكاتيب السرية) وهي الرسائل البريدية التي اتهم بها المرحوم مزاحم الباجه جي وجماعته، بانه كان كاتب الضبط في المحكمة التي نظرت هذه القضية.

وقد اشار الى هذا المضوع المرحوم ناجي شوكت في مذكراته (سيرة وذكريات ثمانين عاما ١٨٩٤ – ١٩٧٤) في الصفحات من ٢٠٦/ ٢٠٩، وخلاصتها: ان السيد مزاحم الباجه جي وزير الداخلية في وزارة نوري السعيد الأولى (اذار ١٩٣٠ – ت ١ ١٩٣١) فرض الرقابة على المراسلات البريدية والهاتفية، وطارد خصومه مطارده لا هوادة فيها خلافا للدستور واكتشف المسؤولون إن سرية (مكاتيب) وجهت الى بعض الشخصيات السياسية، فيها الكثير من التجني والتعريض، فانهم بهذا العمل السيد الباجه جي وعدد من جماعته الى المحاكم، وهؤلاء هم: شفيق ورفيق وجميل نوري السعيدي، واحمد وفاضل قاسم راجي، وابراهيم محمد الجراح، وعبد الرزاق السامرائي، وعبد الله البراك.

ومسؤولية وزير الداخلية (الباجه جي) في هذه القضية هي انه لم يتخذ اي اجراء لمنع توزيع هذه الرسائل، بل عمل العكس فعندما اراد الرقيب إيقافها ، منعه الوزير مع علمه بمضمونها.

وتتصل هذه القضية بأقدام الوزير على عزل المرحوم محمود صبحي الدفتري من منصب أمانة العاصمة، وإيراده في كتاب العزل عبارات غير لائقة وغير مألوفة في الأساليب الرسمية، حتى ان نوري السعيد رئيس الوزراء امتعض منها: وطلب سحب أمر العزل واعتبر الدفتري مستقيلا من الوظيفة.

وبعد مرافعات طويلة وأحكام مختلفة، تدخل الملك فيصل الأول وأمر بغلق القضية.

×××

× ونفى الدكتور عدنان الباجه جي في المذكرات التي أعدها ونشرها مؤخرا عن والده تحت عنوان (مزاحم الباجه جي / سيرة سياسية) منشورات مركز الوثائق والدراسات التاريخية – لندن (بلا تاريخ) في الملحق الاول ص ٥٣٣ وما بعدها (الرد على بعض الادعاءات والفهم والانتقادات التي وجعت الى مزاحم) في النقطة الخامسة – قضية الرسائل السرية نفي هذه القضية – برغم شواهدها العديدة، واعتبرها من التلفيقات ! وهكذا يسير البعض في كتابة التاريخ.

القاضي التنوخي

(٣٢٧ – ٣٨٤ هـ)

× المحسن بن علي، داود التنوخي البصري، قاض، ومن العلماء والأدباء الشعراء، ولد ونشأ في البصرة وولي القضاء في جزيرة ابن عمر، وعسكر مكرم، وتقلد مناصب وأعمالا، وسكن بغداد وفيها توفي.

من كتبه العديدة: الفرج بعد الشدة، وجوامع التواريخ المسمى (نشار المحاضرة)، وديوان شعر.

مقدمات الكتب

الرسالة البغدادية

× حقق الأستاذ عبود الشالجي هذه الرسالة النادرة وكتب مقدمتها في ٣ حزيران ١٩٧٨ وأجاب عن سؤال لنا حولها ضمن لقاء هذا الأسبوع وهذا تلخيص شديد للمقدمة: "الرسالة البغدادية، قصر صاحبها البغدادي، الحديث عن بغداد، فهي تكشف عن اخلاق البغداديين على تباين طبقاتهم، وامتدح طيب هوائها، وأثنى على تأنق أهلها في لباسهم ومساكنهم وعطورهم موائدهم، وفي مجالسهم ومواطن السرور فيها، وتحدث عن دجلة المشحونة بالمراكب والزوارق، المحفوفة بالقصور والجواسق، ترتفع بين اصوات الاغاني وخفقات النايات ، ومناداة الملاحين واصوات المؤذنين، ترى جمالا وكمالا، وتسمع من الحانها الشجية سحرا حلالا.

واول من تنبه الى هذه الرسالة، المستشرق الالماني (ادم ميتز) فحققها واخرجها للناس في السنة ١٩٠٢ في مطبعة من مطابع (هيدلبرج) وبالرغم مما وجده في المخطوطة من تصحيف، فقد استطاع بعد جهد ان يصلح كثيرا من اخطائها، وكتب للرسالة (مقدمة) تدل على وافر فضله، وخرجت الرسالة تحمل اسما رمزيا لصاحبها، ولكن دلت الدلائل على ان صاحبها هو ابو

أبو حيان التوحيدي!.

إن خير من كتب عن أبي حيان الدكتور عبد الرزاق محيي الدين فلم يترك مقالا لقائل واطلع على (البصائر والذخائر) ، وعلى (الإمتاع والمؤانسة)، كما ان ياقوت ذكرها في معجمه.

ويفرض علي الواجب أن انوه شاكرا بالجهد الذي بذله الدكتور إحسان عباس، العالم المحقق، في سبيل إخراج هذه الرسالة. فقد استخدم لي النسخة الأصل التي بنى عليها (ميتز) تحقيقه، وراجع عليها المسودة التي حررتها ، واثبت فيها تصحيحاته، وأصلح كثيرا من الكلمات المصحفة في الأصل.

ماذا قال السعدون في مجلس النواب.. قبل ان ينتحر؟ الباجه جي (والمكاتب السرية) امام المحاكم وشهادة كاتب الضبط

غـزاة بـحـمـدون احـرقـوا كـتـبـي، فـاضـاعـوا ثـروة قـوميـة لا تحفظها خـزائـن ولا اقفال

الكرخي.. عميد الشعر الشعبي

عبد الحميد المحاري

خاتمة المطاف

كان يوم ١٩٤٦/١/١٨ يوما حزينا في تاريخ أسرة (الملا عبود الكرخي) وقد دارت حوله وهو على فراش الموت تنازع روحه سكراته الأخيرة.. بعد أن هدت حياته الأمراض والهموم، وأذوت كياته مواصلة الكفاح.. صحفيا دؤوبا حرا جريئا، وشاعرا وطنيا صادقا، ولسانا معبرا ناطقا بتطلعات الجماهير التي أحبها بإخلاص عميق، وأحبته بأخلاص أعمق.. وما زالت تردد إشعاره وتحيى ذكراه، ولم ينس – عليه الرحمة – وهو بين يدي الله ساعة احتضاره الرهيبة، أن يعلن للمحدقين به، من أولاده وأحفاده وأحبابه: "إنني مبتهج لكوني عشت خادما لبلادي، نافعا أمتي، مناوئا الانكليز طيلة حياتي.. وسأكون أكثر ابتهاجا إذا استطعتم أن تخدموا أمتكم وتنفعوها أكثر مني.."، وهكذا.. وعبر(٨٥) عاما أو تزيد في تقديرات البعض – بين الميلاد عام ١٨٦١ وبين خاتمة المطاف تزدحم حياة الشاعر العظيم صاخبة حافلة بالكفاح المرير في أكثر من ميدان. وحاشدة بالمفارقات العجيبة المذهلة على أكثر من صعيد.. فكان في صباه رحالة دائم الأسفار بين العراق والأقطار المحيطة به يرافق القوافل التجارية في معية أبيه ورعايته: حتى عامه الخامس والثلاثين.. ثم متعهدا لنقل المسافرين وتجهيز مواد العيشة لبعض الشركات العاملة في العراق بعد وفاة والده واستقراره في بغداد، ثم متعهدا ومترجما ضمن الحملة العسكرية التركية ضد روسيا القيصرية حيث وقع في الأسر، ثم منحازا إلى العاملين ضد الأتراك، بعد فراره من الأسر وبعد إعلان ثورة الملك حسين عام ١٩١٦: ثم مطاردا منهم ومتخفيا في الأرياف والمدن خشية الفتك به... حتى إعلان الهدنة وتوقف الحرب، ثم عائدا بسلام إلى بغداده الحبيبة وقد انحسر عنها حكم العثمانيين ليدخلها الغزاة الانكليز محررين لا فاتحين!..

ومنذ هذه المرحلة من حياة الكرخي النضالية اثر إجهاض الثورة وتأسيس الحكم الملكي على أنقاضها بحراب الانكليز وتأييد أذنابهم الذين تولوا حكم الشعب بعدئذ – حيث اختار الصحافة ونظم الشعر ونقد الأوضاع الفاسدة السائدة آنذاك سبلا إلى النضال في صف الشعب ومع آمال الوطن في نوال حريته واستقلاله، بثبات ورسوخ برغم مغريات السلطة الحاكمة سرة.. وتفننها في إيذائه والتنكيل به مرة أخرى، بحجب المياه عن مزارعه، وغلق صحفهن إطلاق شائعات السوء الباطلة عنه، ومحاربته بمختلف الوسائل اللاانسانية في رزقه ومصدر عيشه!.. وإذ تحول العجالة دون أن أتحف القراء الكرام بنماذج من روائع شعره النضالي، أحاول أن انقل بإيجاز المواضيع والقضايا التي عالجها بجرأته المشهودة وصراحته المعهودة عبر مئات القصائد والمقطوعات : فلقد قطن – بذكائه وألمعيته – إلى أن الشعر من أنقذ وسائل الإصلاح السياسي والاجتماعي وأنجحها تأثيرا في ضمائر وعقول ونفوس السواد الأعظم من الشعب، ذلك لأنه يخاطبهم مباشرة وبلغتهم المفهومة، ووفق أمزجتهم وأنماط تفكيرهم، فاستغل هذه الميزة – وقد توفرت لديه أدواتها فنا ولغة وفكرة – استقلالا قويا في مقارعة المحتلين ومحاسبة أذنابهم من الحكام، دون تمييز بين اكبر رأس وأصغره، محاسبة عسيرة ومتواصلة، أقلقتهم وأتعبتهم كثيرا، لأنها تجاوزت أحيانا حدود النقد الموضوعي إلى الهجاء!.. فهو لا يتردد عن وصف وزير ذلك العهد او رئيسه، الذي ينتبوأ منصبه ثمنا لخدمته المخلصة للمستعمرين، وتعهده بإذلال الشعب.. بانه حيوان بشكل انسان وان كان يحمل القابا (رفيعة) لان اسياده الانكليز حين صنعوا منه دمية بشكل وزيرا او رئيس وزراء كمن وضعوا سرجا على ظهر حمار!.. انه يخاطب المعتمد البريطاني – وهو حاكم البلاد الحقيقي – بانه شرير وباغ! وان سادته من القادة العسكريين جبناء لانهزامهم في المعارك اما جيوش الدول الكبرى.. في الوقت الذي لا يتورعون فيه عن التنكيل بكل خسة ونذالة بالشعوب المستضعفة العزلاء.. كان يفعل هذا واكثر منه ولا يهاب، وحراب الانكليز مشرعة والسلطة العميلة قائمة بقوة الاحكام العرفية المفروضة على الشعب الصابر!

ما اترك عن الخائن إذا حكمني
القانون بشنق وبحكمه يعدمني

كما دعا الى المحافظة على استقلال الوطن بطرد الأجانب واستخلاص ثرواته.

– وخاصة النفط – من سيطرتهم...

النفط النفط اه النفط يا أحرار
شب النفط في قلب العراقي نار

وفي القصيدة التي ذكرت مطلعها الآن كان الكرخي في عام ١٩٢٥ بإحساسه الوطني العالي يستطلع الغيب بهذا البيت..

والفضله احجزوها اقلا عاد
تنفع ولدنا في قادم الاعصار

وهو يطالب من الحكومة ان تستبقي لديها وتحت سيطرتها جميع المناطق النفطية التي لم تستثمر من قبل الشركات بحكم نصوص الاتفاقية، حتى تنتفع أجيالنا بها في العصور الآتية:

كذلك دعا بقوة الى تشجيع المنتجات الوطنية ومقاطعة نظائرها الأجنبية، وقد بدأ بنفسه بتغطية رأسه بالسدارة المصنوعة محليا من (الجبن) بدلا عن السدارة الصوفية أو الحريرية المستوردة، كما استعمل في بدلاته القماش الوطني بدلا عن الأجنبي، وهو لا ينسى، في سياق دعوته، الإشادة بأصحاب الحرف العراقيين وحذقهم وإخلاصهم في العمل والتنديد بارباب العمل اذا هم تصفوا في معاملة العمال وإجراء!.

ولإيمانه المطلق بقوة تأثير وحدة الصف الوطني في تحقيق مطالب الوطن وأهدافه الشريفة.. كانت اكثر قصائده، وفي مختلف مناسباتها، لا تخلو من مقاطع في مختلف مناسباتها، لا تخلو من مقاطع في استنكار التفاوت الطبقي بين غني مترف وفقير معدم، وفي شجب التشتت والتخاذل والتفرقة بكل صيغها وأشكالها، مع دعوة متواصلة الى تآلف جميع فئات الشعب وتكاتفها في نضال موحد ضد المحتل وعملائه وإذنابه.. ومعاهداته وشركاته ومشاريعه!.

ومرحلة أخرى.. اجتماعية تاريخية

وكانت المرحلتان متداخلتين بأحكام في حياة الكرخي شاعرا وصحفيا.. فهو لتدفق مشاعره الوطنية لم يترك مناسبة دون تفكير في وطنه وشعبه وامته، فان هدأت الاوضاع نسبيا فلا معاهدة ينقضها ، ولا اتفاقية يفندها، ولا حالة مدانة يشجبها .. لجأ الى اعيان الحكومة ونوابها يسخر منهم ويهينهم بصراحة لانه يراهم غير جديرين بتمثيل ارادة الشعب والتحدث باسم الوطن، ولانهم لم يجيئوا بانتخاب الحر النزيه، بل بالتعيين من قبل اسيادهم لتمشية مشاريع المستعمر وترويج مطالب الحكومة!.. وها هو يرحب بهم على طريقته مستهزئا.

اجبتم بقعدم يا من الى الاوطان
انتم نخبته النواب والاعيان

ولان شاعرنا الراحل واكب مسيرة الحياة العراقية والعربية بتفاصيلها ومن جميع جوانبها، وتجاوب مع أحداثها ووقائعها وظروفها بعمق واخلاص، خلال فترة مشاركتها بالعمل السياسي والوطني والصحفي، الواقعة قبيل احداث ثورة العشرين ابتداءا، وبين سنوات مرضه انتهاء، فقد اصبح مجموع شعره في رأي بعض الباحثين الفولكلوريين، سجلا وثيقا – من نوع طريف – لتاريخ تلك الفترة، قطريا وقوميا وعالميا في بعض الأحيان.. أما بعض مساهماته الشعرية، وفي الاقل من نماذجها في تسجيل الاحداث والمناسبات، تمثيلا وليس حصرا فقد كانت تدور حول تحية جيشنا الباسل في مختلف مناسباته المجيدة، وتمجيد ثورة مايس وقادتها الابطال، وانتحار السعدون، وغرق بغداد، وقضية فلسطين والتحذير من الخطر الصهيوني، والانتصار والتأييد للشعب العربي في مصر وسورية ولبنان واقطار المغرب العربي في قضاياه المصيرية، والحرب العالمية الثانية وتأثيراها السيئ على مستوى المعيشة في العراق والترحيب بضيوف العراق المرموقين من ارباب السياسة والوطنية والعلم والادب والفن، واداء واجب التهنئة او الرثاء لنظرائهم من العراقيين، وفي الاتجاه الاجتماعي كانت حملاته متوالية على ممارسي الغناء المبتذل والرقص الخليع والقمار والدجل والشعوذة والجشع والاستغلال والفساد بكل أنواعه، وعلى اصحاب الصحف العميلة والمفرقة، والموظفين المسيئين.. وفي الاتجاهات الأخرى المتنوعة وصف الجسر الحديدي الجديد ومقهى البيروتي ومعاهد العلم وانتصار عباس الديك وألبسة الرأس من سدارة وطربوش وعقال وألبسة عديدة قام بها بحرا ونهرا وبرا.. كما حذر بشدة من كثرة وجود اليهود في دوائر الدولة ومجالات التجارة، ومن اهمال الزراعة، ومضار البعوض والحشرات!.. فضلا عن إضافات وإفاضات في مختلف الشؤون والفنون مما كان يراها حسب تقديره ممتعة أو نافعة للناس!.

امتياز الكرخي.. بماذا؟ ولماذا؟..

لان شاعرنا الكبير استطاع بما تهيأت له من أسباب الامتياز الطبيعية والمكتسبة ان يستوعب عصره استيعابا كاملا شاملا، عبر آلاف الأبيات التي فاضت بها قريحته المبدعة الخصبة، يقصر الإحصاء عن بلوغ تفاصيل مشاركاته المتنوعة كافة أقصارا واضحا.. لنوجز القول جزما وحسما بتثبيت واثبات امتيازه على جميع معاصريه من الشعراء الشعبيين الكبار!.. وبرغم نبوغ الكثيرين منهم وارتفاعهم الى مستوى شاعرنا في استكمال الأداة، والتضلع في فنون النظم!.. وقد يكون بينهم من يفوق شاعرنا في بعض الجوانب والأغراض!..

ونسأل مرة أخرى بم ولم؟!.. امتاز الكرخي على نظرائه، وطغى ذكره على ذكرهم وحاز شهرة واسعة وتبوأ مركزا مرموقا في عالم الشعر الشعبي!.. ونجيب بقدر ما يتسع للإجابة جهدنا واجتهادنا المتواضعان المبنيان على إطالة النظر في مبادرات الكرخي الشعرية، فنقول ان البعض او الاقل.. او الأكثرية او الأغلبية.. من أقرانه الشعراء الشعبيين.

١. قد عرفوا بنظم قصائد قليلة، قد تقل عن أصابع اليد، او تتعداها قليلا.. فلم تنتشر ولم يتداولها إلا الأقل من الناس.. ولذلك فانهم لم يشتهروا بحيث يذيع صيتهم في ميادين الشعر الشعبي، كما ذاع صيت الكرخ الذي ملأ مئات الصحائف من دواوينه بالالاف من الابيات شعرا شائقا رائقا عذبا مستساغا من المثقفين وغير المثقفين على حد سواء..

في الحقيقة شعري بلسان العوائم

لكن سائر على كل الأنام

٢. قد اقتصروا في استثمار طاقاتهم الشعرية على اغراض محدودة وشؤون خاصة في نطاق عائلي او صداقي، كالبكائيات والتهاني والهجاء والغزل! التي لا تهم إلا من كان معنيا بها شخصيا: وقد يكون بعضها مجردا من العواطف الحقيقية والمشاعر الصادقة!.. بينما انطلق الكرخي الى الافاضل الاماثل والافذاذ من اعلام عصره في العلم والادب والوطنية والسياسة يخصهم برثائه او بتأنئه معددا مآثرهم ومفاخرهم منوها بمبادراتهم وأعمالهم في خدمة الوطن والشعب والأمة، كما انه اقتصر في هجائه – على الاغلب – على المستعمرين المحتلين والأذناب والخونة ودعاة الرذيلة وصناع الفساد واعداء الشعب..

٣. قد انغلقوا على انفسهم وعلى مجتمعهم وعلى الحياة وكأنهم مقطوعون عن الناس وتطلعاتهم المشروعة، كما أحجموا عن تسجيل أحداث العصر المهمة ووقائعه الجليلة التي تكون أجزاءً من التاريخ وتصنع فصوله عبر ما يقرره رجاله من مواقف حاسمة! بينما لم يترك الكرخي كبيرة او صغيرة مما عاصره من الحوادث إلا وقد أحصاها وجلاها في المئات من قصائده، فاصبح بذلك إضافة إلى شاعريته من رواة التاريخ.

٤. قد استعملوا في أشعارهم مفردات وتعبيرات وأفكارا محدودة وخاصة في حدود مناطقهم التي نشأوا وترعرعوا بين اهلها، فلم تفهم او تقبل او تهضم من قبل الآخرين في محيطات متطورة ومثقفة كالمدن الواسعة والحواضر الكبرى حيث تفرض القيم الحضارية الحديثة حضورها على الحياة والناس، وبالتالي فان هؤلاء الشعراء لم يعرفوا او يشتهروا إلا في مواقع وجودهم!.. بينما استطاع الكرخي ان يطل وبانفتاح واسع وعميق، من خلال المدرسة الجديدة التي أنشأها في الشعر الشعبي وتزعمها في اتجاه حديث من التعبير والتفكير، على جميع طبقات الشعب بمختلف مستوياته وتباين فئاته وتعدد لهجاته المحلية وفي كل مناطقه ومدنه وارياقه في الوطن، حيث وضع – باقتدار وكفاءة ومرونة – تحت تصرف ممارساته الشعرية، تجاربه العميقة والعديدة في الحياة ومع الناس، وثقافته المتنوعة الجوانب قياسا على مقتضى العصر الذي عاش فيها، وثروته الادبية من مفردات القصحى وتعابيرها واشعارها وحكمها وأمثالها وافكارها، يقينا منه بان الفصحى هي الجامعة الوحيدة التي يلتقي على صعيدها كل العراقيين والعرب في عمليتي (الفهم والإفهام) بيسر وسهولة دون سائر اللهجات المحلية الكثيرة المتعددة، التي تتباين تباينا هائلا بين قطر وقطر، وبين منطقة واخرى، ومدينة داخل القطر نفسه، وبين محلة ومحلة داخل المدينة نفسها!.. وحين عمد الكرخي الى ترصيع وتطعيم منظوماته بمفردات وتعابير فصيحة – رغم ما وجه اليه من نقد شديد – فقد صنع خيرا كثيرا لتطوير الشعر الشعبي، إذ رفع به مستوى العوام والبسطاء الى اعلى، كما جعل المثقفين في موقف الرضا عنه والاقبال عليه، واصبح شائعا على كل لسان ومستشهدا بامثاله وحكمه في كل مكان وزمان بما يسر له من مقومات التفهم وحسن التلقي بهذه المقومات والاسباب خلد شعر الكرخي وبها صار عميدا بلا منازع للشعراء الشعبيين، وبعوامل اخرى ضاق المجال عن اثباتها.. قد نعود اليها والى دراسة جوانب اخرى من حياته واسلوبه في استعمال الجناس والتورية والتلميح والتضمين وغيرها من فنون البديع، والى طريقة هجائه الفريدة وتعليلها، والى ما يطلب من ذويه واحفاده الكرام.. ان يواصلوا من بذل جهود ومساع لجمع اخبا شاعرنا الراحل واثاره غير المعروفة والمنشورة.. ونقلها من اطواء ذواكر عاقبة هذه الثورة، فكتب إلي ناظم باشا والي بغداد يومئذ يقول: "أسمع أن أحد المشايخ المتلبسين بالتقوى في بغداد –هذا البلد الذي يسيطر عليه حكم الدستور وعدلك الواقي– أخذ يدير رحى فتنة، فقام يحرض الجاهلين على الإيقاع بي باسم الدين البريء من الظلم جزاء مقالة اجتماعية نشرت بإمضائي في "المؤيد" كما في "تنوير الأفكار" دفاعا عن المرأة، وهي عدا كونها شبهات ضعيفة استفهامية تزول من نفسها، لم يتعين بعد أكاتبها أنا، أم هي مزورة على لساني من عدو لي في العراق، الذي أرجو من الحكومة الدستورية ألا تقتص من الصابغين أكفهم بدمي إذا كان ما يريده المحرضون –أظنهم أكثر من واحد– بل تعني بتعليقهم وإقناعهم من الجهل لئلا تمتد أيديهم في المستقبل إلى منكد آخر على مثلي، يتمنى في كتاباته إصلاحا للأمة اجتماعيا".

فقد تنصل الزهاوي من مقاله بعد أن خشي عاقبتها، وتملكه الرعب فقبع في بيته ينتظر مرور الأزمة بينما زاد هذا الموقف نفسه قاسما من قبل إصرارا على رأيه، وجمع حجج المعارضين ثم فندها في كتابه "المرأة الجديدة"، غير أن الأزمة لم تمر، وبدأت الغيوم تتلبد في سماء حياة الزهاوي منذرة بالخطر، فقد ثار مع الثائرين العلامة مصطفى نور الدين الواعظ، وقابل الوالي، وبين له أثر المقالة الخطير في المجتمع وخروج صاحبها على أحكام الشرع، ولم يُجد الزهاوي ذلك التنصل المشبوه، وكانت النتيجة أن عزله الوالي من وظيفته بمدرسة الحقوق.

ولم تهدأ المعركة عند هذا الحد، بل ارتفع غبارها في العراق حتى وصل إلى مصر، فشارك بعض أدبائها في المعركة، وشرعوا سيوفهم يتنازعون الموقف بين مؤيد ومعارض، نثرا وشعرا.

أما في العراق فقد سكتت الأصوات إلا صوت رجال الدين، مثل محمد سعيد بعد عام واحد، وبدأ الشاعر يضمد جراحه التي خرج بها من المعركة، ويقول الشعر الذي ثبت فيه على رأيه والذي هجا فيه الوالي، عام واحد عزل بعده الوالي نفسه، وجاء والجديد هو جمال باشا، فأعاد الزهاوي إلى مدرسة الحقوق، ونفض الشاعر عنه غبار المعركة.

أسرار تنصل الزهاوي من مقال كتبه عن المرأة

كان الشاعر جميل صدقي الزهاوي أثناء تدريسه بمدرسة الحقوق يراسل مجلة "المقتطف"، وجريدتي "المقطم" و"المؤيد"، حتى إذا كان اليوم السابع من أغسطس/ آب عام ١٩١٠، طلعت جريدة "المؤيد" وبها مقالة الزهاوي تحت عنوان "المرأة والدفاع عنها – صوت إصلاحي من العراق"، يتحدث فيها عن أثر المرأة في حياته منذ كان طفلا، ثم شابا وشيخا، وينتقل فيتناول قضية المرأة تناولا منطقيا، فيرى أن سيادة الرجل ليس لها ما يبررها، كما يعدد من خلال المقال الجوانب التي هضم فيها الرجل حق المرأة.

فقد انزلق الزهاوي إلى الهوة، وأسرف على نفسه وعلى قرائه، ففي بداية المعركة كان يتتبع خطى قاسم أمين في موضوع الطلاق تحديدا، إلا أن قاسم كان أكثر فهما وأشد عمقا في تحليله للموضوع، ولكن الزهاوي مس الدين حين انتقل من الحديث عن التقاليد إلى الحديث عن التشريع. وإذا كان الزهاوي قد أدخل الدين سببا فقد أخرجه من قبل قاسم أمين حين قرأ عن شهيدات النساء المسلمات، بل حين رجع إلى أصول الإسلام الأولى ورأى مكانة المرأة السامية كما رسمها الدين، وحين عرض قاسم لحقوق المرأة لم يقل ما قاله الزهاوي، وإنما قارن بينها وبين الرجل ولكن الزهاوي تأثر بقاسم حين عرض لمسألة الحجاب، فرأه من أسباب الفتنة إذ هو يخفي شخصيتها، ولم يقف قاسم موقف الزهاوي المتعجب من وجود العصمة بيد الرجل، لأنه يعلم أن الدين قد منح المرأة الحق في أن تكون العصمة بيدها إن شاءت، هكذا تأثر الزهاوي بقراءته لتحرير المرأة، ولكنه تجاوز آراء قاسم في كثير من النقاط، واشترط في مطالبه، وخانه التوفيق في العرض، وإذا كان البعض يأخذ عليه أنه دعا للسفور ولم يسمح لزوجته بأن تخلع الحجاب، فقد فعل ذلك قاسم أمين من قبل، لأنه رأى أن للطرفة أسوأ العواقب، وأن الدعوات الإصلاحية تأخذ طريقها تدريجيا إلى قلب المجتمع.

ومثلما تعرض قاسم من قبل لضروب من المضايقات، تعرض الزهاوي، فلم تكد تصدر المقالة في مصر حتى تناقلتها الأفواه في العراق، والعراق قطر متمسك أشد التمسك بالتقاليد الموروثة، ومن الروايات المتواترة في بغداد آنذاك، أن ثلاثة من الشباب طرقوا منزل الزهاوي بعد مقالته هذه، فلما سألهم عن حاجتهم أجابوه أنهم يريدون أن يتزوجوا حليلته حتى يحققوا بعض رغباته في المقال حين أنكر على الرجل أن يتزوج بأربع نساء ويظلم المرأة حين يحبسها على رجل واحد، وتملك الرعب قلب الزهاوي ولم يستطع أن يتخلص منهم إلا بعد جهد شديد. وخشي الزهاوي عاقبة هذه الثورة، فكتب إلى ناظم باشا والي بغداد يومئذ يقول: "أسمع أن أحد المشايخ المتلبسين بالتقوى في بغداد –هذا البلد الذي يسيطر عليه حكم الدستور وعدلك الواقي– أخذ يدير رحى فتنة، فقام

عن كتاب حكايات عراقية خيري العمري

مطاعم الكباب الحديثة.. بلا أجراس!

اعداد الكباب في احد المطاعم الحديثة

اعداد الكباب في احد المطاعم ببغداد

كنت صبيا بين صبيان "محلة القره غول" يوم سمعت احد "اهل المحلة" يقول لصاحب له:
– ليش منروح هاليوم نتعشه سندويچ؟!
فرد عليه الآخر بقوله:
– ياسندويچ يا حامض شلغم، خلي انروح للكاظم ونتعشة كباب هم زيارة وهم تسيارة!

الشاطر والمشطور..

وكنا قد عرفنا أكلة "الساندويتش" قبيل الحرب العالمية الثانية، وبعد ذلك قرأنا في المجلات المصرية ان مجمع اللغة العربية في القاهرة قد أعطى الاسم العربي المناسب للأكلة فاسماها: "الشاطر والمشطور وبينهما الكامخ!" وقيل إن المجمع لم يفعل ذلك، وان هذه التسمية أطلقها ظرفاء مصر مداعبة منهم للمجمع!

الساندويتش..

وكان "الساندويتش" قد قدمه في العراق قبل غيره "محل شريف وحداد" الذي كان يقوم غير بعيد عن جامع السيد سلطان علي، وقد افتتح من قبل اثنين من موظفي مديرية الكمارك العامة، ولعلهما قد عرفا الساندويتش اثناء تجوالهما في أوروبا، وكان ما يقدمانه إلى رواد محلهما هو "اللسان البارد والمخ" وبعض اللحوم، وكان يتم وضعها في صمونة صغيرة ويبيعونها بـ درهم، وقد اشتهر ذلك المحل وكثر رواده، وان كان العامة له يستسيغوا الاكلة وظلوا ينكتون عليها ويقولون:
–ساندويچ!.. شنو ساندويچ؟.. خوب كولوا باجه بايته أمخليها ابصمونه!..

كباب الفضل..

ويوم عرفنا الساندويتش لم أكن اعرف إلا كباب محلة الفضل، وكانت المحلة يومذاك ليست غير سوق كبير يضم بين دكاكينه دكانين لبيع الكباب، وان سكان المحلات المجاورة للسوق يشترون الكباب منهما، فقد جرت العادة على شراء "شيشين كباب" إذا جاع احد الأفراد ولم يكن الطعام قد نضج في البيت بعد، أو أذا كان احد أبناء العائلة لا يستسيغ إحدى الاكلات فيتبلغ بالكباب، او ان "صاحب البيت" يسأل زوجة عند حضوره من العمل مساء ويقول لها:
– اشطابختلنة هاليوم؟
فتقول: والله ابو جاسم طابختك فد بامية من هاي التعجبك!
فيرد عليها: همين بامية يمعودة متعرفين البامية تنفخني، دزيلي على فد جم شيش كباب خلي اتعشه بيهن!.
كما ان العائلات كانت تستعين ببائع الكباب عندما تفاجأ بالزائرين القادمين من المدن والقرى ويحلون على أقاربهم ذلك ان الفنادق كانت مخصصة للرجال، ثم صارت العوائل تحل في جانب منها خصصوه لذلك!.

طعام شعبي..

والكباب من الأكلات الشعبية ليس في العراق حسب، وإنما في العالم العربي كله، ولا اختلاف بين كباب سوري او لبناني او عراقي، وانما الاختلاف في كيفية تقديمه إلى أكليه، وقد عرفنا في العقود الأخيرة عدة محال فخمة لبيع الكباب، ولكن افتقدنا في معظمها ما كنا نشعر به في اثناء وجودنا غير بعيد عن "المثقلة" التي يتم إنضاج الكباب على نارها التي تكون من "فحم الكراجي".

كما افتقدنا مشاهدة "الكبجي" وهو يقوم بأعداد أسياخ الكباب، والسيخ هو (السفود) في لغة الضاد، والعامة تسميه "الشيش".
ومما يذكر ان الكباب قد عرفته الدول الاوروبية عن طريق الدولة العثمانية، كما عرفته القارة الاميركية عن طريق المهاجرين العرب، وقد دهشت عندما وجدت في احد المطاعم الهنغارية في إحدى الدول الأوربية "جوقا بغداديا" كما كان المطعم يقدم لزبائنه الكباب مع "التكة".

مطاعم سفرية..

وبعد ان اتسعت بغداد، وصارت تقوم في ضواحيها بعض المقاهي والمشارب، رأينا بعض باعة الكباب وهم يقدمونه للراغبين به – عالرجل – أي أنها (سفريه!) كما يقولون، وهي اقل من محلات بيع "التكة" التي تقدمها لطالبيها الواقفين على أرجلهم.

مطاعم الكباب..

وكانت مطاعم الكباب التي عرفناها في العشرينات وما بعدها تقوم في الاسواق الشعبية، ففي بغداد كنت تجدها في الميدان حيث تقوم الفنادق و "المسافر خانات".
كما تقوم مطاعم الكباب في "الصابونجية" وقد آل أمر اشهر المطاعم هناك فيما بعد الى شاب كان يمارس الأدب والشعر ويوقع بما يتم عن مهنته وكان توقيعه هو "الشواء" وقد نشر معظم إنتاجه الفكري في جريدة "الاتحاد" التي أصدرها المرحوم ناجي العبيدي، وامتدادها وتطورت مع تطورها.

طرشي البيت..

وكانت مطاعم الكباب تقدمه لأكليه عندها، ففي كل واحد منها كان يمكن الجلوس حيث يقدم الكباب والخبز والطرشي، وكان الخبز يحصلون عليه من بائعاته في الأسواق التي قامت فيها تلك وكانت إدارتها ومطبعتها تقع في محلة "تبة الكرد".

هذا إضافة إلى وجود مطاعم الكباب في باب الشيخ وعند "راس الجسر" في الرصافة الكرخ، كما قامت مطاعم الكباب في الشواكة وعلاوي الحلة، وانتشرت في جانبي بغداد مع توسع المدينة المطاعم ، اما الطرشي فيتم إعداده في بيوت أصحاب تلك المطاعم، ثم مطاعم الكباب تحصل على الطرشي من معديه، والخبز من خابزيه، ذلك لانها صارت تبيع اكثر من السابق عدة اضعاف بعد ان تضاعف عدد سكان بغداد.
واذا كانت مطاعم الكباب تبيع "التكة" في الوقت ذاته، فان المطاعم القديمة قد تخصصت في بيع الكباب، وصارت "التكة" اليوم تباع لوحدها لدى بعض الباعة، وبخاصة اولئك الذين تخصصوا ببيعها (عالرجل)!

أجراس..

وكانت مطاعم الكباب القديمة تتميز بان صفا من الأجراس النحاسية قد تدلت بسلاسل حديدية فوق المنقلة، وكان صاحب المطعم وهو يقوم بإنضاج "شياش الكباب" يضرب على احد أجراسه فيرن، وذلك عندما ياتيه زبون، وقد يضرب اكثر من جرس ان جاءه كثرة من الزبائن ليغيض بقية "الكبجية"، وقد اختفت تلك الاجراس قبيل الحرب العالمية الثانية، اي اوائل الاربعينيات!.

كباب البيت...

وعلى اهمية وجود مطاعم الكباب، او المطاعم التي صارت تقدمه مع اكلاتها اليومية، فان "كباب البيت" يظل هو الأنظف، والألذ، وقد صار من المتعذر ، او الصعب، صنع الكباب وإنضاجه في البيت، لان ذلك يتطلب توفر الفحم، ووجود المنقلة ، مع الكفاية من الاسياخ، وعلى ربة البيت "تشييشها، ثم إنضاجها، اذن فالأسهل هو الذهاب الى المطعم، او ذهاب احد افراد العائلة وجلب الكباب الى البيت.

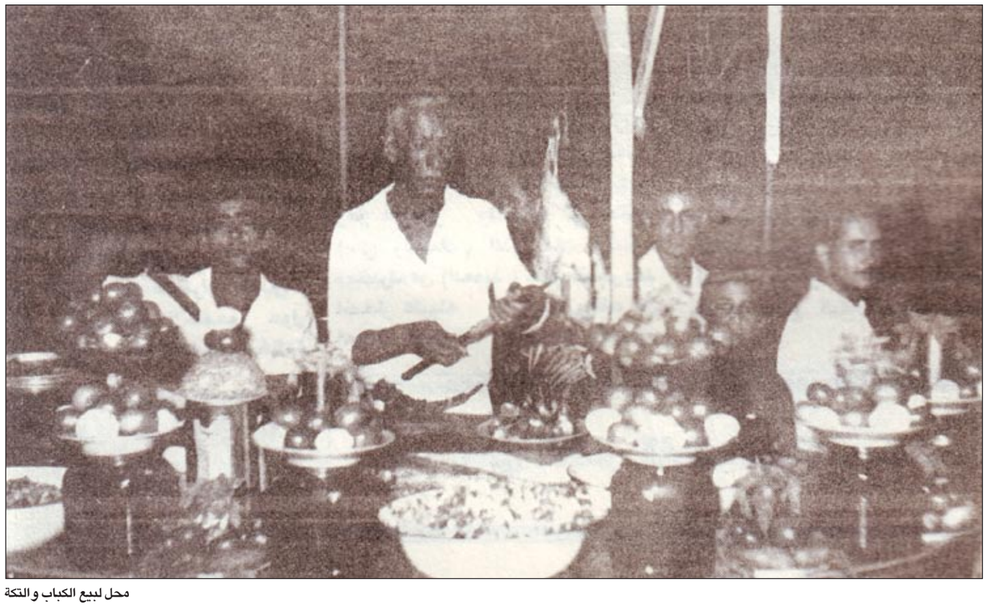
محل لبيع الكباب والتكة

وثائق فولكورية

"مقدمة" كتاب "الزوج المربوط"

تاليف: عبد الحميد العلوجي
تقديم : الشيخ جلال الجنفي

كتاب، أو بالأحرى كتيب، او كراس او رسالة (الزوج المربوط) للأستاذ الباحث عبد الحميد العلوجي، من المؤلفات الفولكلورية المفقودة، فان الذي يملك بنسخة منه، ولو ممزقة او مرممة، لا يسمح لأحب الناس اليه باستعارتها، أو حتى بمعاينتها.
وقد رغب عدد كبير من القراء والأصدقاء، أن ننشر ولو (مقدمة) هذا الكتيب وهي للشيخ جلال الحنفي، فإنها تغني الى حد ما مطالعة البحث، لما جاء فيها من روعة التحليل، ودقة التصوير للموضوع الذي طرقه الأستاذ العلوجي لأول مرة، ونحن ننشر هذه المقدمة بنصها، وسنحاول نشر مثيلاتها في المستقبل.
والكتيب في (٥٢) صفحة، طبع بمطبعة اسعد عام ١٩٦٤ في سلسلة (وثائق فولكلورية) تحمل الرقم (١) ولم نر بعد غيرها.

قال الشيخ الحنفي البغدادي وهو يقدم كتاب (الزوج المربوط) للمؤلف عبد الحميد العلوجي.
(كان من حكمة الله أن هون على الناس، أمر الشهوات، تهوينا كبيرا، بما أوجده في نظام الحياة الجنسية من الربائث والثبطات. فكانت الغريزة الجنسية الجبارة – دائما – أم إلى الضعف، واسبق إلى الخور، حين تقوم أمامها غريزة الخوف (مثلا)، أو غريزة الحياة!.
فان هذه كلها غرائز مودعة في الكيان الإنساني، إلا أنها تتفاوت في القوة والضعف، وتتباين في الصمود والنكوص، وكان من بديهيات الأمور هذا الذي اشرنا إليه من ضعف الغريزة الجنسية أما غرائز أخرى كثيرة تفعل فعلها في التثبيط، وتصنع صنعها في التخذيل.
وكان للتعاليم الدينية إثرها الظاهر في هذه المسألة، فان المحارم التي احرقها الشريعة أدت إلى إمساك الطاقة الجنسية عن التعبير عن نفسها وإبراز رغباتها في المواطن التي انصب عليها الحظر والتحريم وعدم جواز المقارنة بسبب تلك القرابات الرحمية الممنوعة.
والقائلون إن الغريزة الجنسية عمياء، واهمون في هذا، فإنما هي غريزة مبصرة واعية كثيرة التأثر والتحسس بالعوامل النفسية.
إن هذه الظروف والعوامل الجنسية والغرائز والقيم الاجتماعية هي التي تتحكم في القضايا الجنسية بالنسبة لأسوياء الناس، ومسألة (الربط) التي جعلها الأستاذ العلوجي، صانع هذه الرسالة، موضوع بحثه القيم لا تخرج عن الأصل الذي المحنا إليه في هذه المقدمة، فان الزوج المربوط إذ يأتي أهله ليلة البناء يعرض له من العوارض المرتجلة ما يصرفه عن الوجه المرسوم له، ولا تؤمن الشعبية بهذا المعنى أصلا، بل انها لتحكم – اول وهلة – بخذلان الرجل في جولته الاولى، ثم تتهمه برجولته التي لا ترى من دليل على ثبوتها لشخصيته الا هذه الوسيلة المرذولة، ولم يكن مهما عند الناس اذ يرقبون نتيجة الدخول بالزوجة ليلة الاعراس، ان يتأكدوا من سلامة الفتة حسب، بل ان من المهم في معتقدهم الشعبي كذلك ان يتأكدوا من كون الرجل رجلا بالفعل وان القلق الذي يشغل بال ذوي الزوجة على مصيرها، لا يقل عنه شيئا ذلك القلق الذي يشغل بال ذوي الزوج على مصيره هو أيضا.
ان النظام القديم الذي لا تزال صورة مشهورة حتى هذه الأيام يقضي أن تعين ليلة خاصة لما يسمونه بليلة الزفاف والمشهور في ذلك أن تكون ليلة الجمعة في الغالب.
ويبدأون إعداد العريس لمهمته الزفة والموسيقى وإيقاد المصابيح والسرج، والغناء والأهازيج، حيث يمشي الرجل بين اثنين من أصدقائه، ثم يذهبون به إلى المسجد الجامع ليصلي مع المصلين ركعات العشاء الأربع، ومن بعد هذا ينتقلون به أهله، وعلى باب الجامع الذي صلى فيه يكسرون إبريقا من أباريق الفخار التي تستعمل للوضوء، وحين يبلغ الرجل بيته تقوم امرأة من ذوات قرابته بتعريفه إلى عروسه، وتعريف عروسه به، وقد تكون عروسا لم ير وجهها من قبل، ثم يخرج الى أصحابه الذين يكونون في انتظاره، فيسلم عليهم ويودعهم حيث تغير لهم أسارير وجهه عن طبيعة موقفه الراهن، وبعد ذلك يعود الى اهله في مخدعهما الذي يباح لهما فيه الامر الذي لم يمر بهما من قبل ويبيت أناس من أقرباء الزوجين يرقبون النتائج العاجلة، وربما اشطبوا تلك النتائج، فذهبوا ينقرون الأبواب، او يتلصصون من خصائص الباب والنوافذ، او يتصارخون بأصوات مضطربة تتضمن الحث والتشجيع في ام يحسبونه ضربا من المعارك التاريخية الفاصلة، وربما خاشنوا العريس في مناداتهم اياه من وراء الجدر ظنا منهم ان ذلك سيستفزه، فيفترس الفريسة الشهية لحما وشحما.
ولكن المسألة كثيرا ما تجيء سيئة الاثر، اذ يرتبك الزوج لاكثر من سبب من تلك الاسباب، فتخور قواه وينكشف.
ولقد كنا رأينا غير قليل من أولئك الشباب وهم يساقون إلى عرائسهم ليلة الدخلة، فكنا نرى ملامح الارتباك والخجل والحياء بادية على وجوههم، وظاهرة في حركاتهم وتصرفاتهم، وإنما كان البغداديون يكسرون الأباريق بين قدمي العريس، بعثا لما ركد من عزمه، واستفزازا لما سكت عن نفسه، فإذا كانت، الجذوة الجنسية قد خمدت عنده ساعة اللقاء، فليس ذلك من عجب في سنة العالم، ولكن ذلك لابد أن يكون أمرا عجبا في الشرعة الشعبية التي لها أحكامها المفروضة الحاسمة.
وكان من مأثر ما صنع المسؤولون في القديم من علماء الطب ونحوهم حين يراجعهم المتهمون في قواهم الجنسية والمخذولون من الأزواج في البناء بأهلهم أن يعالجوا العلة بضروب من المعالجات لا تخرج في الواقع عن الإيحاءات النفسية الساذجة، وقد يكون مضافا إليها أحيانا شيئا من المواد العقاقيرية المهيجة والمنشطة.
وكان السحر والتبخير والعزائم وغير ذلك من المحاولات الاخرى التي يبني كثير منها على الارتجال والاختراع خير وسيلة لحل هذه المشكلة المروعة، أما مسألة السحر وأثره في الربط والحل، فلست من المؤمنين بشيء من ذلك الا ان يكون لهذه الأمور أثرها الايجابي في النفوس.
ولقد حفلت كتب الفقه والادب والطب والسحر والزواج بكثير من مسائل الربط والمربوطين، بالاضافة الى ما لم يكتبه التاريخ بعد من التفاصيل الكثيرة في هذه المادة.
ولكن صديقنا الباحث الفولكلوري الاستاذ عبد الحميد العلوجي، استطاع ان يدرس هذا الموضوع دراسة دقيقة مفصلة، فيلم به كل إلمام، وقد كنت أراه في اليوم الواحد يطوف على العديد من الشخصيات الشعبية يسألهم ما عندهم من علم ورأي في مسائل الربط والمربوطين، بعزم وهد، كنت أغبطه على ما يتمتع به منهما.
ان الناظر في هذا الكتاب، قد يبدو له ان حصيلته متحصلة في دراسة طويلة قضى فيها المؤلف مليا من الزمن، ولكن الواقع دراسته هذه ليست الا حصيلة ايام معدودات، لا تتجاوز الأسبوعين، ويدل هذا على عمق القابلية الاستقصائية لدى الصديق العلوجي، ويدل ذلك على فرط الشغف العلمي في نفسية هذا الباحث الدؤوب، بما ينبغي ان اكون انا اول من يغبطه من الناس على مثل هذه الاستعدادات النادرة.
وفي الواقع شيء اخر أجده لا يقل أهمية عن الاطار الأساسي للموضوع، ذلك ان يعمد المؤلف إلى الأسماء الشعبية الساذجة التي يحملها اشخاص من سواد الناس، فيروى عنها ثم يثبتها في رجاله، وبهذا ينتقل علم الرجال من اطار الخاصة الضيق الحدود، الى اطار العامة الواسع العريض.
وفي الواقع ان الحضارة الشعبية العامية انما تعتمد اليوم على مصادرها الساذجة من عامة الشعب وسواد الناس الاميين.
وما احسب كتاب العلوجي هذا الا من خيرة الوثائق الاصيلة التي تستحق ان يعني بها علماء الدراسات النفسية، فضلا عن الباحثين الاجتماعيين والفولكلوريين.. فانه – في الحق الذي لامرية فيه – دراسة من امتع الدراسات، وبحث من اطرف البحوث، وجهد من ابلغ الجهود.
والامر الذي اختم بالاشارة اليه كلمة المقدمة هذه هو ان (العلوجي) قد حملني حملا على ان اخوض معركة هذه المقدمة، ولم اكن قد بلوت فيما مر من ايام حياتي المتبلدة البلهاء شيئا من حل وربط في هذه المعامع الشائعة، ولا فقهت فقه القتال في سوح المخادع حتى بلغت منه عتيا، ومن يدري فلعلني لو قدر لي الأعراس والبناء ان اكون بين أولئك المربوطين بحث لي عن حل عند الشيخ عباس مراد، او اقرأ في كتاب (الرحمة في الطب والحكمة) ما كتبه السيوطي في هذه المسألة او ابحث عن الاوفاق في (شمس المعارف الكبرى) او اشد نفسي بالحزام الذي ذكره الملا محمد العبيدي مؤلف (الزلبعيات) البغدادية المعروف.
وعلى كل حال فان ما يقدره الله للناس انما هو خير الاقدار، هذا وللعلوجي وقرائه ما هم حريون به من صادق التهنئة بمناسبة صدور الحلقة الاولى من سلسلة الوثائق الفولكلورية المنوي اصدارها، والله المعين.

١٣٧٣/١٢/٧ هـ
١٩٦٤/٤/١٩ م
الشيخ جلال الحنفي

ذكريات وخواطر متناثرة

صادق الازدي

في السنة الدراسية ١٩٣٨ – ١٩٣٩، عملت في التعليم كمعلم في مدرسة ابتدائية بإحدى قرى محافظة بابل – لواء الحلة حينذاك – ومع قرب القرية من مدينة الحلة، فان الانتقال إليها للتبضع لم يكن مسألة سهلة، اذ لا واسطة نقل تتوفر لسكان القرية ولمعلمي مدرستها، إلا في اوقات متباعدة، وكثيرا ما كنت اذهب الى الحلة سيرا على قدمي، ثم اعود الى القرية بـ "عربة لا تدون". ولم يكن هدفي من وراء تلك "السفرة" التبضع، وانما جلب ما تجمع من اعداد الجرائد التي كنت قد اتفقت مع صاحب "المكتبة العصرية" في الحلة على حفظ اعدادها لديه، مع ما يصل باسمي بواسطة البريد من جرائد بغدادية اسبوعية كنت انشر خواطري على صفحاتها، ومنها جرائد الصراحة والمداعب والناشئة الاسلامية والاتحاد وغيرها. فقد تعرضت للاصابة بـ "داء الكتابة" قبل ذلك بثلاث سنوات، ثم تفاقم الداء، وازمن، فتركت التعليم الى الصحافة، ولم اشف من ذلك الداء حتى يومنا الراهن!.

وذات صباح، جاءني جاري الحاج عمران الحمد – رحمه الله – وقال لي:

– انا ذاهب إلى الحلة، فهل تريد ان اجلب لك منها بضاعة ما؟

فشكرته، ورجوته جلب ما تجمع من أعداد الجرائد الخاصة بي لدى المكتبة، ولا شيء غيرها أريد، ولما عاد قبيل الغروب، أعطاني اكثر من عشرين جريدة، وسألني:

– متى ستقرأ كل هذه الجرائد؟

فأجبته: ليس بالضرورة أن اقرأ كل سطر من سطورها، فقد اقرأ مقالة في واحدة، وتعليقا في ثانية، وخاطرة أو قصيدة في ثالثة!

وانصرف وأنا اعرف انه لم يفهم تماما ما عنيته، مع انه كان من القارئين، بل هو غير الأمي الوحيد من أبناء جيله في تلك القرية، وكان في مطلع شبابه قد عمل مع البعثة الألمانية التي عملت في خرائب بابل قبل الحرب العالمية الأولى، ولست ادري لم لم اسأله اين ومتى تعلم مبادئ القراءة والكتابة، فان المدارس لم تكن معروفة في مدن عراقية كثيرة قبل تلك الحرب وبعدها بعد عقود من السنين.

وكنت في تلك الأيام وأنا أعيش في "منزلي القروي" استمع إلى ما يذاع من "راديو بغداد" وبعض الإذاعات العربية الأخرى، فأقف يوما بيوم على بعض الأنباء المحلية والعربية، إضافة إلى الأخبار العالمية. وكانت "ألمانيا الهتلرية" تتحرك بسرعة، وتصارع الدول الكبرى الأخرى، مجبرة إياها على مخاصمتها، ومن ثم جرها الى ميادين القتال، وهذا ما حدث فعلا!

وكان جهاز الراديو كبير الحجم، وكان يعمل بالبطارية التي تجدها في السيارات، وليس كالأجهزة التي نستعملها اليوم، وبعضها يحجم علبة السكائر، وهكذا كنت قبل أن اقرأ في الجرائد أنباء الدنيا، واكتفي بقراءة عناوين الأخبار المحلية. وقد أمر بنظري على خبر او اثنين، وكنت اقرأ بعض الافتتاحيات "الساخنة"، والمقالات الانتقادية، والقصائد، والقصص، والخواطر، وهكذا أنا حتى اليوم، فأوجه اهتمامي الى بعض صفحات جرائدنا، واعترف بأنني لست من قراء الشعر الحديث، ولا القصص الغامضة، وربما جاء ذلك من كوني احد أفراد جيل ذهب إلا اقله!

ومع كل اعجابي بصفحة "تراث ومعاصرة" وما ينشر على أعمدتها من خواطر الكاتبين وبحوثهم الطريفة، إلا أنها "تنرفزني" بأخطائها المطبعية، وغموض بعض المعلومات الواردة في عدد من مقالاتها، وبشيء من الجهد الإضافي بالإمكان جعلها افضل، وأوضح بالنسبة للباحثين مستقبلا، فنحن نعرف اليوم ما هو "ورد لسان الثور" ويستطيع اي قارئ ان يسأل الاكبر منه سنا عن ذلك الورد، فيحدثه عنه، ولكن ما الذين يكون الجواب عندما يسألنا شاب بعد ان يقرأ مذكرات وذكريات الدكتور حسين علي محفوظ عن "سوق الشورجة قديما وحديثا" والمنشور على صفحة تراث ومعاصرة في عدد جريدة العراق الصادر في يوم ١٩٨٤/٩/١٦.

– ما هو بذر البيدمشك؟.. وما هو ماء الكيوره؟!

لاجواب عندي لانني لا اعرفه، هذا مع اعترافي بان مقالة الدكتور محفوظ تضمنت الكثير من المعلومات التاريخية والحياتية التي ستعين كل باحث مستقبلا، عن معالم الحياة البغدادية اليوم، وقبله بعدة قرون!

وقد استرعى انتباهي في "المذكرات والذكريات" ان الدكتور محفوظ قال: "واما تكاليف دكان العطار البسيط، فقد كانت ٩٧ روبية وعشر عانات، وفيها قيمة الميزان والصناديق والمداده، والجامعينات والقواطي وغيرها"، ومع جهاز – والمعترف لا ذنب له! – بما عناه بالمدادة والجامعينات، فانا لا افهم كيف حدد تكاليف دكان العطارة البسيط بذلك المبلغ والى حد "الانه"، وليس العانه!.

فهل هي "ميزانية لمديرية ما لا يمكن تجاوزها ولو بانه واحدة، اما ماذا؟. وما ضره لو قال حوالي المائة روبية، ثم يذكر ان الروبية عملة هندية عرفناها بعد الاحتلال البريطاني للعراق خلال وبعد الحرب العالمية الاولى، وانها كانت مقسمة الى ست عشرة "انة"، وقد تم استبدال الروبية بعد صدور العملة العراقية في الثلاثينات بخمسة وسبعين فلسا؟!

ثم قال الدكتور: ".. وذلك بالسكة الهندية، الروبيات والقروش"، وغاب عنه ان القرش لا وجود له في العملة الهندية، فهي تتالف من الروبية، وكانت من معدن الفضة، ثم نصف الروبية، فربعها، وهو "القران"، وهو اربع آنات، والآنة المصنوعة من النيكل وحافتها مقرنصة، وهي اربع بيسات، وكنا في العراق يعرفها باسم "بيزه" وهي من النحاس، وكانت البيسة قابلة للتحويل الى اثنتي عشرة "بايا" بالباء الاعجمية. ولم تكن هذه العملة متداولة في العراق، إلا انها تسربت الى الأيدي عن طريق الجنود الهنود الذين عملوا في العراق ضمن قوات الاحتلال البريطاني، وكنا نسميها "نص بيزه" وقد سألت في الاربعينيات احد معارفي من الدبلوماسيين العراقيين الذين عملوا في الهند.

– ما الذي يفعله الهندي بعملة غاية في تفاهتها كالباي؟

فقال: "الهنود تحت ظل الاستعمار البريطاني تعيش كثرتهم في مقر مدقع، وقد يعجز الهندي عن شراء علبة كبريت، فيشتري ثلاث او اربع عيدان بـ "الباي" الواحد!.

اما "القرش" فهو اسم عملة عثمانية، ويطلق حتى اليوم على بعض العملات المستعملة في بعد الاقطار العربية، فـ "القرش الصاغ" في مصر العربية هو العملة المعدنية التي قيمتها "عشرة مالليم". وكان هو سعر المجلات المصرية التي كنا نشتريها في العشرينات حتى بداية الأربعينيات، ومنها مجلات "المصور، كل شيء، الفاكهة، العروسة، الدنيا المصورة، الكواكب، اللطائف المصورة!.

ومما ورد في مذكرات وذكريات الدكتور محفوظ قوله: "كان العطارون يحفظون العقاقير والمواد الطبية والادوية والحاجات العطارية في اكياس من القماش والخام مشدودة بخيوط تعلق على مسامير مثبتة على جدران الدكان، فاذا اراد العطار شيئا جر الكيس!".

مع انني من مواليد بغداد سنة ١٩١٨، وكثيرا ما ذهبت الى سوق الشورجة وانا في سن الطفولة، فلست اذكر الاكياس المعلقة على جدران دكاكين العطارين، وانما اذكر "القواطي" المصبوغة من الصفيح، ثم الادراج – المجرات – ، واعرف جيدا ان العطارين كانوا يضعون المادة التي يشتريها منهم اي زبون في كيس من القماش، وذلك قبل ان نعرف الاكياس الورقية، ثم الاكياس المصنوعة من "النايلون"، ولكن من اين كان يحصل العطار على تلك الاكياس؟!.

ولو عدنا الى بداية هذا القرن – قرننا الحالي– نجد ان محلة بغدادية كانت بيوتها من الطين تعرف باسم "محلة الخرك"، اي الخرق، وكانت اخر محلة باتجاه "مقبرة الشيخ عمر السهروردي"، وقد اطلق ذلك الاسم على تلك المحلة، لان نساءها وفتياتها كن يجمعن الملابس، والاجزاء المتروكة منها مع نفايات البيوت البغدادية ، ويقمن بغسلها في مياه "النزيزة" غير بعيد عن بيوتهن، ومن ثم تقطيعها، وخياطتها، وتحويلها الى اكياس، يقمن ببيعها الى العطارين، وهم بدورهم يستعملونها كأكياس الورق والنايلون اليوم، وفي الثلاثينات، منعت مديرية الصحة العامة استعمال تلك الأكياس القذرة.

بقيت لدي كلمة أخيرة حول موضوع آخر نشرته صفحة "تراث ومعاصرة" في عدد يوم ١٩٨٤/٩/١٦، وكان عنوانه الجانبي يشير الى ان في البحث ما فيه "من خفايا الحقائق والوثائق" اما عنوانه الرئيس فهو "النزعة الاستقلالية بين ١٩١٢ – ١٩١٤"، وقرأت ما كتبه الزميل فؤاد قزانجي تحت العناوين، فلم اجد لا حقائق ولا وثائق فما اورده ليس غير معلومات عامة معروفة.

وقد وقع الزميل قزانجي بما سبق لبعض العاملين في الجرائد الوقوع فيه، وهو عدم التمييز بين المانيا القيصرية، والمانيا الهتلرية، فقد نشرت احداها قبل عقد من السنين كلمة عن الجاسوسة الالمانية الشهيرة" ماتا هاري"، وكانت تقدم رقصاتها كواحدة من بنات الليل في افخم ملاهي باريس اثناء الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ –١٩١٨)، وقد عقدت بفضل جمالها ودهائها علاقات حميمية مع ضباط فرنسيين وانكليز وغيرهم، وحصلت منهم عن بعض ادق ما يعرفونه من اسرار عسكرية، ولما افتضح امرها، القي القبض عليها، وحوكمت ثم أعدمت، وكان حاكم ألمانيا خلال سنوات تلك الحرب هو الإمبراطور غليوم الثاني، ولكن الجريدة البغدادية التي كتبت عن "ماتا هاري" يزعم أنها جاسوسة نازية، مع ان "هتلر" لم يكن يومها غير جندي برتبة عريف في الجيش الألماني!.

وقد وقع الزميل قزانجي في غلطة مسائلة عندما قال: "وبعد اعلان الحرب العالمية الاولى في تموز ١٩١٤، بدا ان تركيا اخذت تميل الى دول المحور – ألمانيا وذلك.. الى اخره!"، اي انه اعتبر (دول المحور) هي المانيا، ولست اعرف كيف تحولت الدولة الى دول! ثم ان عبارة "دول المحور" لم تكن معروفة خلال الاعوام التي استغرقتها الحرب العالمية الاولى، وانما عرفتها الصحافة عالميا بعد استيلاء هتلر على الحكم، فعندما تحالف الزعيم النازي مع الزعيم الفاشي موسوليني، شاع ورود عبارة "محور روما – برلين""، ولما انضمت اليابان الى الحلف صار اسمه "دول الحلف الثلاثي"، و "محور روما – برين – طوكيو"! لما قامت الحرب العالمية الثانية، ووقعت بعض الدول الاوروبية الى جانب المانيا، عرفنا كل دول الحلف الثلاث وتلك التي ايدته باسم "دول المحور"!.

اما الدول التي وقفت في الجانب الآخر فهي "دول الحلفاء"، وعرفناها بذا الاسم في الحرب العالمية الاولى!.

اوردت ملاحظاتي على بحثي الدكتور محفوظ والزميل قزانجي، وملء نفسي شعوري بمكانتهما في مجالات البحث والتحقيق والادب، مع تقديري الخاص للزميل محرر صفحة "تراث ومعاصرة" وإعجابي البالغ بأسرة تحرير جريدة "العراق" الغراء.

مجلة الحضارة
العدد الاول 1986

مما ورد في مذكرات وذكريات الدكتور محفوظ قوله: "كان العطارون يحفظون العقاقير والمواد الطبية والادوية والحاجات العطارية في اكياس من القماش والخام مشدودة بخيوط تعلق على مسامير مثبتة على جدران الدكان، فاذا اراد العطار شيئا جر جر الكيس!".

عن ثقافة أصحاب المكتبات

مهدي شاكر العبيدي

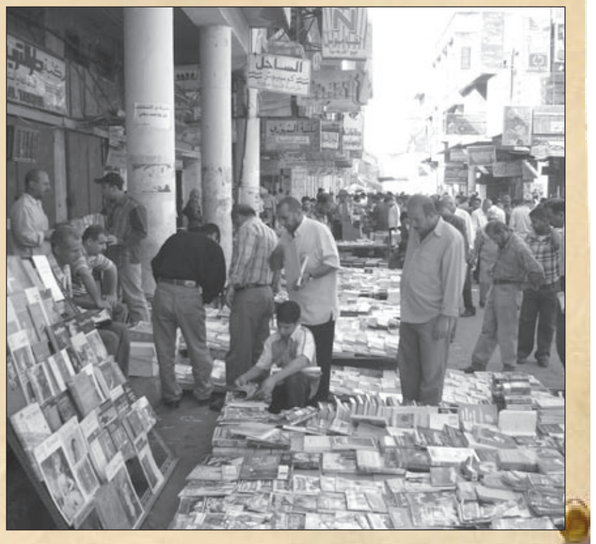

من معاني الثقافة في بعض المعاجم الخفة والحذاقة وحسن التصرف، وبالنسبة للرماح تعني تسويتها، واصطلح الناس بعدها على اعتمادها للدلالة على الفهم والفطنة واكتساب المعارف، منتهين بها إلى أحسن التعامل مع الغير والتلاؤم مع البيئة والتكيف وفق مواضعها في غير ابتذال وتنازل عن الخصائص الذاتية، وقبول مالا يوافق العقل والضمير، حتى وان طال المثقف جراء ذلك ما لا يستحقه بحال من النعي عليه شذوذه وقلة خبرته ذوي جهله بالطبائع، مما لا يفوت أي أحمق أو متسافه أن يصب في وعائه حقده وحنقه على ذوي الامتياز في غير ملكة او موهبة، وهو عند نفسه في طليعة الفصحاء والفهماء!.

فلو عدنا بالمعنى الأول، ومداره على الحذاقة واكتناه ما بنفس الاخر من رغبة في الشيء او عزوف عنه، لما انكرنا على جميع باعة الكتب في سوق السراي او الجالسين على الارصفة في شارع الرشيد او غيره، في اوقات غير معلومة، استيفاءهم هذه الخصلة وامتلاكهم لها بقدر واف او يسير.

يتجلى ذلك من خلال درايتهم بمدى كلف مساومهم على السعر بالكتاب وشدة حاجته له، او انه لا يضار في حالة تعذر شراؤه إزاء تشددهم وعنادهم وعدم تساهلهم في القيمة التي صكوا بها سمعة، ووجد من جانبه أن ذلك يقتضيه ما يشق أو يحول دون سداد بعض مطالب الحياة.

ولكل أديب تجربة من هذا النوع مرت به في آونة من حياته، خبر أثنائها ما ترتب على تسرعه في إظهار غبطته أو فرحته بالعثور على الكتاب الذي يبحث عنه من زمن قد يكون بعيدا، حتى إذا تحقق ضالته استغرقته حال عجيبة مما يمكن تسميته نسيان النفس والانقطاع الكلي عما حولها من ناس وشؤون، وهو معنى في تقليب صفحاته وقراءة عناوين موضوعاته وفهارسه، وما درى ان مقابله قد انتوى به كيدا، فلا يفيد اي التماس او ترج في إمكان تخفيض الثمن. إنما يوطن ذاته على سماع ما لا يحبط به علما من حقائق تتصل بأمور الطباعة مثلا، وما ترجح به الطبعة القديمة لكتب ما على طبعه ثانية او جديدة له، من دقة ونفاسة وإقبال المقتنين والمتداولين عليه، اذ يصير الأثر الفكري وفق هذا المعيار في عداد نفائس الآثار والتحف النادرة التي يتبارى البعض في حيازتها.

اما الثقافة بمعنى الانكباب على قراءة المؤلفات واستيعاب ما تشتمل عليه من معرفة وفكر ومنطق، او تجسده من مواقف لمعديها ازاء الوقائع التاريخية والاحوال الجارية من اراء واجتهادات بخصوص القيم السائدة وما يلحق بذلك من عرف او عادة فان كثيرا من اولاء لا يعدم في نصيبه من ذلك مجاوزة من الاحاطة باسماء المؤلفين المشهورين في مختلف ميادين الثقافة ومجالاتها كالادب والتشريع والفقه والاقتصاد والكهرباء والميكانيكا وغيرها، مع الالمام بابرز انجازاتهم واثارهم فيها. بل ان من بينهم من صار الى دراية وخبرة بمنازع اصحاب المؤلفات المندرجة في باب العلوم الانسانية المحضة والتاريخ من ابينها واحكمها صلة بالتطور الانساني، فميز السلفي عن المجدد، الرجعي عن التقدمي، المنطلق في تحليلاته وتاويلاته وشروحه عن نظرة ضيقة وتعرض شائن، واندفاع في خدمة ذوي المصالح والاغراض النفعية، عن الذي لايضع غير الحق دليلا في صياغة ارائه ومقولاته. فاذا عدونا هذا الصنف من باعة الكتب ممن لم يقيض لهم حيازة راس المال المناسب للانتظام في عداد الكتبيين المالكين او المستأجرين لمبنى زاه برفوف ترص او تنضد عليها الكتب والدوريات، ويبلغ من السعة وفسحة المكان بحيث يتسع لمنضدة او اثنين يستوي خلفهما صاحب المكتبة وسكرتيره ، وما تبقى لا يضيق على العامل الاجير ان يقف في ناحية منه، متفرسا في وجوه الآخذين بالمصنفات تقلية وتقليبا خشية ان يعمد واحد منهم الى دس ما خف وزنه وحجمه منها في حقيبته، وذلك من اغرب ما يخطر على بال أصحاب التجارات او لا ينبغي ان يساور الشك نفوسهم بسرائر غيرهم وطوياتهم، ترى أيجوز أن يغامر الباحث عن المعرفة وما تلزم ان يغامر الباحث عن المعرفة وما تلزم به من عفة ورصانة بسرقة الوعاء المحتوى عليها؟

على ان بعضهم اعفى ذاته من مؤونة ذلك بتعليقه لافتة تتطلب الزبائن بوضع حقائبهم ولوازمهم الجلوية معهم على منضدة مخصوصة لهذا الغرض عند المدخل ، وتتفاوت الجمل المبنية عن الطلب ذاك في أنصبتها ومقاديرها من الالتماس اللطيف أو الأمرة المشوبة بالنبو والفجاجة.

نقول اذا عدونا أولئك المكتسبين البسطاء الى هذا الرهط من العاملين حد التعهد بنشر بعض المؤلفات وتوزيعها داخل القطر وخارجه، ومكافأة اصحابها على غرار صنيع الدوائر الإعلامية المسؤولة عن أعمال الثقافة والتنوير وإشاعتها، فلا تعدم من بينهم الدارس والمتتبع والباحث الذي يرصد من وقته لمطالعة بعض الأسفار متوسلا بها لغايات وآداب شتى، منها يزداد معرفة وخبرة بالكتاب الرائج السريع النفاد لفرط إقبال جمهرة القراء عليه، فلا يمد مكتبته إلا بما يقترب بمادته من نفس موضوعه المعني بتناوله ومعالجته، والمتضمنة بعض الانطباعات والأفكار والاستدلالات حول تاريخ العراق الحديث، أكانت موضوعية متسمة بالتجرد والنزاهة، او توخت الطعن والدس والتشويه وطمس الحقائق، مع الإيصاء – من المترجم الى القارئ – بموجب الحذر والاحتراس وتحاشي الانخداع، نقول حظيت مثل هذه الآثار باحتفاء اولاء وقبولهم بها مخطوطة، وتولوا بدورهم طبعها وآثابة المتقدمين بها على جهدهم وعنائهم، بما تنكص طاقتهم عن حيازته وانتزاعه لو نزلوا الى السوق ذات يوم!.

ومن هذه الغايات والاراب تطلع محمود الى الانخراط في سلك الادباء، ومشاركتهم في محاوراتهم ونقاشاتهم، وكثيرا ما تنعقد في بعض المكتبات ندوات ينشب اثناءها او فيها من الجدل والتاريخ والفلسفة والسياسية، ما لم يعدم جدواه في انعاش الواقع الثقافي وتاريخ جذوته من طريق نقل محصلته او خلاصته الى الصحف والمجلات وتعريف الجمهور الكاثر به.

وكان المرحوم قاسم محمد الرجب صاحب مكتبة المثنى اديبا مقلا وكاتبا يهمه التركيز واجتناب الحشو وفضول القول عند صياغة ارائه بصدد مسائل التراث، على ما وقفنا عليه من مقالاته القصيرة التي كان يخص بها مجلة المكتبة الصادرة عن مكتبة المثنى العتيدة ابان النصف الاول من الستينات.

وكان الراحل الشيخ علي الخاقاني مصنفا من طراز رفيع وممتاز، وليس بالوسع انكارها اهمية الدور الذي لعبته مجلة البيان التي اصدرها واشرف عليها في الاربعينات من خلال استقطابها خيرة اشياخ القلم والبيان في العراق وخارجه لرفدها بموضوعاتهم ونشرها فيها، حتى اذا اوقفها عن الصدور لسبب واخر، انتقل من النجف الاشرف الى بغداد، مفتتحا مكتبة عامرة باسم البيان، وكان لا يعدم حاسة التمييز بين الادباء المطبوعين والمؤلفين الجماعين، وقد استفسر منه ذات يوم بصدد رايه عن الكاتبين المصريين محمد مندور وشوقي ضيف، من ناحية التاصيل للثقافة الحقة وتربية الجيل وصقل ذائقته وفهمه، فرجح مندورا واربى به على شوط قرينه، لماذا؟ لانه من اصحاب المواقف في رايه، في غير استهوان لمقدرة الاخر من الاستقصاء والتحليل.

وفي هذا السياق لابد من التنويه بسابقة صاحب المكتبة العصرية الراحل محمود حلمي الى نشر المؤلفات المكتوبة بأقلام العراقيين على نفقته الخاصة، وكانت رواية مصير الضعفاء التي فرغ منها محمود احمد السيد عام ١٩٢٣م اول مؤلف يطبعه، على عهدته رغبة في اظهار فضل العراقيين وإحياء آثارهم وخدمة للنهضة الأدبية وحثا لابناء الرافدين على الكتابة والتأليف حتى يكون للعراق علومه الوطنية وادابه القومية الخاصة، شان بقية الامم الحية"، على ما يسوق ضمن تقديمه للكتاب، وقد نقلت ملكية المكتبة العصرية من التاريخ البعيد ذاك حتى انتقلت قبل اكثر من عقد الى الشاعر صادق القاموسي.

الخلاصة ان صاحب المكتبة التجارية في قطرنا ما تسلكه في حشد الكسبة وطلاب القوت ، له عليك حق تثمين دوره في التوجيه والتنوير، وانه يماثلك في مداه من الإحاطة واستيعاب ما يتصل بالثقافة من شؤون وشجون.

سامي خوندة

صحفي من جيل ثورة العشرينات يتحدث عن ثورة العشرين!..

لقاء اجراه الصحفي الراحل ابراهيم القيسي

سامي عبد الله خوندة.. أو سامي خوندة، بشكل والأستاذ سلمان الصفواني، الحساب الختامي المتبقي من جيل العشرينيات لرصيد الصحافة العراقي، باعتبار أن الأول اصدر جريدة (الرافدين) اليومية السياسية عام ١٩٢١، وكانت تعبر عن الشعور الوطني بكتاباتها الصارمة، وقد عطلها المندوب السامي البريطاني في آب ١٩٢٢ وابعد صاحبها إلى جزيرة (هنجام) وكان الشاني المدير المسؤول ورئيس التحرير لجريدة (المعارف) الأسبوعية السياسية: لصاحبها (عبدالله حافظ)، صدرت في الكاظمية يوم الجمعة (٣) ايلول ١٩٢٦ لتحل محل جريدة (صوت المنبر) وهدفها نقد الأوضاع العامة السائدة يومئذ، عطلتها الحكومة، بعد (١٣) عددا صدر منها.

(ان تتح لنا الفرصة مع الاسف ان نلتقي بالأستاذ الصفواني ابي رامز، بمناسبة عيد الصحافة العراقية، وكان الاجدر بنقابة الصحفيين العراقيين أن تتولى هي هذا الأمر، فتعمل وتبادر وتكون لها ثائرة في سجل نشاطاتها الجديدة).

كانت لنا جلسة مهما استغرقت من وقت، الا انها استوعبت فترة طويلة من تاريخ العراق السياسي الحديث، وذلك في بيته بالوزيرية الذي ما زال يحتفظ بطابعه البغدادي، بغرفة وصالوناته وأركانه وحدائقه وزواياه التي شهدت أحداثا من صفحات ذلك التاريخ. حيث كان منتدى وملاذا ومحفلا للوزراء والكبراء والعلماء والأدباء وأهل الرأي والحل والعقد، يتشاورون فيه ويتذاكرون ويقررون ويتدبرون شؤون البلد، كأني في البيوتات البغدادية العريقة.

×××

× سألنا بداية الأستاذ خوندة: ما الذي تعنيه كلمة (خوندة) هذه؟ قال أبو سرمد، وعلى وجه اصح أبو الدكتور سرمد.

– ينبغي ان نعود قليلا – أو كثيرا – إلى الوراء لنمهد لهذه المسألة اولا أن اشير الى ما غمرني به الاخ الدكتور محمد حسين بفضل طويل من كتابه القيم (السياسيون العراقيون المنقبون إلى جزيرة هنجام سنة ١٩٢٢) هو الفصل الرابع لذي جاء في (١٤٥) صفحة، نقص في اعداده، واعداد فصول الكتاب الاخرى، الحقائق والأحداث المفقودة والمطمورة والمنسية من تاريخ نضال شعبنا الأبي في عهود القهر والتخلف والتسلط والاستبداد، مما سنعرض له ضمن سياق حديثنا معكم.

نعود الآن إلى سؤالكم، ولابد من تمهيد للجواب.

– كان ولادتي في بغداد سنة ١٩٠٠ في دارنا بمحلة جديد حسن باشان من عائلة ميسورة الحال، وهي غربية عبادية مهدية، يمتهن بعض أفرادها الزراعة في مزعتنا (العريقية) عند جسر ديالى، قضاء المدائن، وكان جدي لأبي قد انتقل الى هذه المحلة وحده من محلة (قنبر علي)، وبقي مع اولاد عمه مزارعا ويتعاطى الأعمال التجارية أيضا في منطقة (العريقة) التي كانت المركز التجاري لبغداد من وقتها وعرفت تلك الأراضي باسمه (الملا معروف العبادي بن الحاج أبي بكر المهدي) . وكان جدي الخامس قد لعب دورا بارزا بالاشتراك مع العشائر العربية في مقاتلة الإيرانيين على عهد السلطان مراد الرابع في استعادة بغداد، فاقطعهم أرضا لسكانهم عرفت فيما بعد بمحلة (المهدية) باسم عشيرته.

لقد نال جدي هذا وابنه الملا معروف لقب (خوندة) الذي كانت الدولة العثمانية تمنحه للعلماء البارزين من رجال الدين، ومعناه (عالم)، وقد استندت في هذا الإنعام على حجج ومستندات رسمية قذفاها للمحكمة الشرعية ببغداد، واعتقد أنها محفوظة لديها.

ان عائلتنا تتصل بالخوانة بعائلة الوتري من جدنا الخامس، وبعشيرة أبو عباس في سامراء من ثلاثة بطون.

× دراستكم الأولى، كيف كانت؟

– أدخلني المرحوم والدي (المدرسة الحميدية) سنة ١٩٠٨، وهي مدرسة اولية يتعلم فيها الصبيان والأطفال، القراءة والكتابة، ويحفظون اجزاء من القرآن الكريم، وكانت تشغل بناية مدرسة الحقوق في العهد العثماني، التي صارت مقرا (لمتصرفية لواء بغداد) فيما بعد – بعد تجديدها طبعا – وكانت هذه المدرسة اشبه بالكتاب (الملة)، وكان يديرها السيد عثمان، ومن معلميها السيد فارس، والملا عبد الرزاق، والملا فضل الدين الأفغاني – عليهم الرحمة – وعندما بلغت التاسعة التحقت بمدرسة (الرشيدية العسكرية) ، وكانت بمكانة الاعدادية المركزية اليوم، وتخرجت فيها سنة ١٩١٢، وكما ذكرت للدكتور الزبيدي، فان الحكومة كانت مشغولة بحرب البلقان، فلم احبذ الدراسة في مدارس عسكرية، وانتقلت الى الصف الخامس من مدرسة الاعدادية ملكي، وفي سنة ١٩١٤، ابدل اسمها الى (المدرسة السلطاني)، فانتقلنا الى الصف العاشر، انا وزملائي رحمهم الله وهم:

صادق البصام عبد العزيز الخياط، رؤوف البحراني، في متوسطة الجعفرية، وعندما نجحنا الى الصف الحادي عشر كانت الحرب العالمية الاولى قد اعلنت. فدعوا رؤوف البحراني لخدمة الاحتياط، وفي السنة الثانية اخذوا صادق البصام، وأرسلا الى الاستانة، وفي صيف ١٩١٦ تخرجنا في هذه المدرسة بعد نجاحنا في صفها الثاني عشر، انا وتسعة من زملائي وهم:

سلمان الشيخ داود، إبراهيم عاكف الآلوسي، عبد الكريم مجيد، توفيق رشدي، عبد الرحمن خضر الكتبي، عبد الحميد الكيلاني، خيري السنوي، افهم رشيد، شاكر السويدي.

– ان هذه المدارس، ذات الاثني عشر صفا، لم تخرج سوى هذه الدورة، حيث ألغيت بعد احتلال القوات البريطانية لبغداد في ١١ آذار ١٩١٧.

×××

× اخر وظيفة شغلها الأستاذ سامي خوندة كانت مديرا لحسابات وزارة الداخلية، ثم مفتشا إداريا (١٩٥٧) ، وفي آب ١٩٥٨ أحيل على التقاعد لبلوغه السن القانونية. يقول هو ويضيف إلى هذا.

– بعد عودتي من المنفى في جزيرة هنجام، دعتني الهيأة العليا لمدرسة الثانوية الجعفرية لتدريس مادة التاريخ العام في صفوفها الثانوية، فالتحقت بها في أواخر سنة ١٩٢٣، غير أن رجال التحقيقات الجنائية ظلوا يلاحقونني ويضايقوني بشدة، فأشار علي بعض الأصدقاء بالالتحاق في إحدى الوظائف الحكومية، تخلصا من هذه الملاحقة، فوجدت أن وزارة المعارف انسب مجال لي، فعينت مديرا لإحدى المدارس الابتدائية. ثم نقلت الى وزارة المالية، ونسبت إلى دائرة التفتيش المالي، ثم توليت وظيفة محاسب لمتصرفية لواء ديالى، ثم كربلاء عاصرت خلال فترتها القصيرة متصرفها المرحوم صالح جبر، ثم نقلت الى بغداد سنة ١٩٣٥

لقد نال جدي هذا وابنه الملا معروف لقب (خوندة) الذي كانت الدولة العثمانية تمنحه للعلماء البارزين من رجال الدين، ومعناه (عالم)، وقد استندت في هذا الإنعام على حجج ومستندات رسمية قذفاها للمحكمة الشرعية ببغداد، واعتقد أنها محفوظة لديها.
ان عائلتنا تتصل بالخوانة بعائلة الوتري من جدنا الخامس، وبعشيرة أبو عباس في سامراء من ثلاثة بطون.

يوم كان المرحوم رؤوف البحراني وزيرا للمالية، وتربطني به علاقة وثيقة من ايام الدراسة في (الإعدادي ملكي) وتزاملنا في دائرة التفتيش المالي قبل استيزاره. وفي عام ١٩٣٧ نقلت الى وزارة (العدلية) دائرة تسوية حقوق الأراضي، ثم واصلنا الرحلة الشاقة على نحو ما تعرفون.

× كانت لكم مشاركة جادة، ومواقف مشهورة في ثورة العشرين فماذا في الذاكرة عن طيوف الماضي البعيدة وباختصار شديد في الذاكرة والحمد لله الكثير من أحداث الماضي البعيد، وباختصار شديد؟

– في الذاكرة والحمد لله الكثير الكثير من أحداث الماضي البعيد وإلا بعد، يشرفني ويسعدني في أن واحد، إنني كنت بين الآلاف من العراقيين الذين ساهموا بأي شكل من الأشكال في هذه الثورة الشعبية الوطنية الخالدة، وكان مجال عملي من احداثها، بعض مناطق لواء ديالى.

فالكل يعلم ان مراسلات الشريف حسين – مكما هون – التي تمخضت عنها اتفاقية عرفت بهذا الاسم، كانت لتفاهمتها حبرا على ورق، لان الانكليز نفضوا على عهودهم، واستخفوا بالعرب، ولم يحسبوا اي حساب لمثل هذه الثورة الدموية العارمة التي اذهلت بريطانيا.

– ان الكتب والمؤلفات والدراسات والأطروحات التي وضعها الباحثون والمؤرخون وطالبوا شهادات الماجستير والدكتوراه، ومعظمهم لم يشارك مشاركة فعلية في مفردات ثورة العشرين، تضمنت بطولات كاذبة، ومدعيات لا ظل لها من الحقيقة، وقد التقيت ببعض هؤلاء وناقشتهم فيما كتبوا وصنفوا، فكان كل واحد يحتار في أمر إظهار حقيقة ما قال. وما دونه في كتاباته او مذكراته، وإمعانا في التجني على الثورة، ورجالها الحقيقي، فانه لم يتجنب ما افتراه الاخرون، ولم يفضحوا حقيقة تلك الصور والرسائل والوثائق لأشخاص انتقلوا الى رحمة الله قبل اندلاع هذه الثورة بشهور وربما سنوات، ومن عجب انهم ابقوا على زيفها وعلى بطولات أصحابها المزعومة وجهادهم الكاذب، حتى أنهم لم يستطيعوا أن يكشفوا عن الأسماء التي استبدلت بأسماء تزييفها للتاريخ.

– كانت منطقة عملنا جبهات بعقوبة وشهربان – المقدادية – وكان لنا شرف المساهمة في بعض وقائع الثورة وأحداثها مع الثائرين الاشاوس من عشائر اللواء.

وقد مهد حزب الحرس السري الذي تلف من بغداد في شباط ١٩١٩ لمساندة الثورة وقادتها بما استطاع منتسبوه ان يفعلوه، ودعوا لحمل السلاح القادرين على حمله، فقام الانكليز بتشتيت كل تجمع وتخرب، وخرب مصادر الثورة وقواعدها، وعمد الحزب الى ارسال عدد من اعضائه العسكريين لاسناد الثوار ونجدتهم، فارسلت انا والرئيس شاكر محمود الى بعقوبة وشهربان، وكان لمواقف الشيخ حبيب الخيزران رئيس عشيرة العزة، وبذله المال والسلاح الاثر الكبير في دعم افراد شائر الديوانية والحلة والكوفة وغيرها، وحين شعر بذلك الميجر (هايس) الحاكم العسكري في بعقوبة، طلب الاجتماع برؤساء عشائر المنطقة وقد حشر من حشر قطلب اليهم بضيغة الامر والتحذير، الانصياع لبياناته والابتعاد عن عوامل (الشغب) واشاعة البلبلة، ولابد من المحافظة على الامن والنظام.. الخ.. وحذرهم من مغبة العبث باموال وممتلكات الحكومة والناس، وامرهم بالبقاء في مركز اللواء وعدم الذهاب الى مناطق سكناهم الا باجازة منه، وخص منهم الشيخ حبيب الخيزران، والشيخ حميد الحسن رئيس قبيلة بني تميم.

×××

– وفي يوم لاتذكره من تموز ١٩٢٠ جاءني صديقي المرحوم صادق حبة واستدعاني لمقابلة المسؤولين من اعضاء حزب الحرس السري، فاجتمعنا في دار تقع في محلة (صبابيغ الال) قرب جامع المصلوب، وكان في انتظارنا كل من السادة – عليهم الرحمة – على البازركان، وجلال بابان ومحمد حسن كبة والحاج كاظم ابو التمن، وجرت المداولة حول ارسال الضباط العراقيين لادارة دفة المعارك في جبهات القتال، وعلمان منهم ان اربعة ضباط ارسلوا الى منطقة الفرات الاوسط لهذه الغاية، وتقرر – كما المحنا سابقا – ارسال المرحوم الرئيس شاكر محمود الى لواء ديالى، وان ارافقه انا لمعرفتي واطلاعي وعلاقتي برؤساء ووجهاء بعقوبة وكنعان وبلدروز، وفعلا سافرنا في اليوم التالي، ووضعنا ترتيبا وخطة العمل، وكانت نتائج اعمالنا والحمد لله جيدة للغاية.

– واذكر ان الشيخ حبيب الخيزران انتهز فرصة سفر الحاكم العسكري (الميجر هايس) الى بغداد، فاقنع وكيله (الكابتن لويد) بالسماح له بالذهاب الى بغداد للمعالجة، وسافر واتصل برجال حزب الحرس السري (وكان عمره يومئذ ٢٧ عاما) يتقد غيره وحماسا ووطنية، وكان على جانب كبير من حسن الخلق، وهناك اطلع على تفاصيل اخبار العشائر الثائرة في الجنوب، وعاد في المساء الى اهله في مقاطعة (الشوهاتي) في قضاء الخالص، وبات ليلته يتدارس مع اخوانه رؤساء عشائر اللواء، فتقرر قيام عشائر العزة والبوهيازع وبني تميم والكرخية، بالتحرك المسلح واعلان الثورة في هذه المنطقة، وكانت باكورة الاعمال قلع سكة الحديد في الجاسمية – بين عقوبة ومهروت – ايذانا باعلان تضامن عشائر لواء ديالى مع العشائر العراقية الاخرى الثائرة.

ووجدت من الضروري الذهاب الى بعقوبة، فاتصلت بالمرحوم حبيب العبدروسي – وهو ملاك ومن وجهاء قرية زاغنية – له صلات وعلاقات وثيقة بعشائر المنطقة، وتبادلت معه الرأي، وبت ليلتي (دفعا للشبهات) في خان خليل نصيف. الواقع في راس السوق، وكانت تربطني به وبابن عمه المرحوم نعمان محمد صداقة متينة، وكان الاخير زميلي في الدراسة في بغداد، وشغل فيما بعد ملاحظية القلم الخاص لوزير المالية.

– وجرت الامور في هذا اللواء على نحو ما يعرفه الجميع والاحداث كثيرة والاحاطة بها في هذه العجالة من السعوبة بمكان، والتفاصيل والجزئيات في المؤلفات الجديدة والقديمة، ولكل مجتهد نصيب، وذكرنا هذا القليل كملاحظات خاطفة، او كرؤوس اقلامن فثورة العشرين لم تتهيا الظروف حتى هذا اليوم للكشف عن حقائقها وتشذيب ما علق بها من اكاذيب واباطيل والتاريخ على مدى الرحلة الانسانية الطويلة، لم يسلم من التشويه وطمس الحقائق ، الا انها في النهاية لابد ان تظهر جلية واضحة، وقديما قال شاعرنا الجاهلي في معلقته المشهورة.

ومهما تكن عند أمرئ من خليفة وان خالها تخفى على الناس تعلم!

×××

× ود في كتاب الدكتور الزبيدي (السياسيون العراقيون المنفيون الى هنجام) انكم عاصرتم بعض الاغتيالات السياسية، التي لها علاقة بالمدارات السياسية يومئذ. فما هي اشهر هذه الاغتيالات؟

– ابرزها او اشهرها.

١. اغتيال (سلمان روبين) وكان هذا مفوضا للشرطة في مركز شرطة سراي بغداد، وهو يهودي شرس الطباع شيء الخلق والسلوك، وكان يتعمد الاساءة الى المواطنين ويهين الكبراء والوجهاء، ترضية لاسياده الانكليز، فكمن له احد ابناء بغداد الجسورين – ويدعى عبد الامير – خلف (دنكه) ملاصقة لجامع ال جميل بمحلة (تحت التكية) المجاورة لمحلة قنبر علي، واطلق عليه النار فارداه قتيلا في الحال، فراح بشر اعماله.

٢. السيد حامد محمود السامرائي (متصرف الموصل) وهو والد الطبيب النفساني المعروف صفاء الدين حامد ، وعم المجبر الفني جلال شاكر.

كنت في زيارة للموصل، وهناك علمت باعتيال هذا الرجل الكريم، عندما كان في بيت رئيس البادية المرحوم امين المفتي، بعد تناول طعام العشاء مباشرة ومعه طفله الصغير (صفاء) هذا، وقبل ان شرطيا من الشبانة يدعى (عرموط) اطلق عليه الرصاص من شباك البيت، وقطعا فان الانكليز كانوا وراء هذه الجريمة النكراء، وقد شاركت في تشييع الجنازة.

٣. مقتل توفيق الخالدي:

شغل المرحوم الخالدي منصب وزير الداخلية في الوزارة النقيبية الثانية (١٩٢٣) شارك نوري سعيد فيها لاول مرة وزيرا للدفاع، وقد افتتحت هذه الوزارة اعمالها بالمباشرة بانتخابات المجلس التاسيسي، واثناء عملية الانتخابات اغتيل الخالدي، الذي عرف بنزعته للنظام الجمهوري، وكرهه للملكية ، وكان وطنيا مثقفا ذكيا، وعارض في انتخاب فيصل الاول ملكا على العراق.

كان المرحوم الخالدي يملك مزرعة في منطقة الدورة اسمها (العكابية) اتخذها مكانا لراحته واستقبال اصدقائه واقامة الولائم والحفلات وفي احد الايام اقام مأدبة غداء للمستر (هنري دوبس) المندوب السامي البريطاني، الذي كان هو الاخر لا يرتاح للملك فيصلن وبعد انتهاء المادبة عاد (دوبس) بسيارته، ودعا معه الخالدي واجلسه الى جانبه في السيارة، وصارا يطوفان شوارع بغداد، الامر الذي اثار حفيظة الملك وداخلته الريب بان امرا يدبر ضده، وان الانكليز يهيئون الخالدي لحكم العراق بدلا عنه، ويبدوا انه اراد ان يتفدى بهم قبل ان يتعشوا به. فكلف (الباشا) بمهمة تصفية الخالدي، وفعلا اتصل نوري سعيد بالمدعو شاكر الگرغولي وعبد الله سربة، وأمرهما بتنفيذ العملية، وكان الخالدي يومها يسكن جديد حسن باشا، خلف جامع السراي، وكان حميد كنه ملتزم حراسة هذه المحلة، ويسكن دارا صغيرة قريبة من دار الخالدي، اتخذها مقرا لعمله ولسهراته الحمراء، فطلب اليه الباشا ان يتعاون مع الجناة في هذه المهمة فجعل حميد هذا من داره كمينا لهما، فصارا يرصدان ويرقبان تحركات الخالدي حتى ظفر به ليلة ٢٤ شباط ١٩٢٤ عندما كان عائدا لبيته من زيارة لعبد الرحمن النقيب، فاطلق عليه عبد الله سربة ثلاث اطلاقات نارية قضت عليه، وسجل الحادث ضد مجهول!

٤. ومن الاغتيالات التي عاصرتها، محاولة اغتيال عداي الجريان وسلمان البراك، لميولهما الساخرة لبريطانيا عند مناقشة المعاهدة العراقية – البريطانية، والتي لم تكن في جوهرها غير (شروط الانتداب) ولكن بصيغ جديدة، وقد اطبق عليهما النار كل من شاكر الگرغولي وعبد الله سربة ايضا، وذلك يوم ٢٠ نيسان ١٩٢٤ في عكد الصخر عن محلة جديد حسن باشا، عقب الاحتفال الكبير الذي عقده المحامون الوطنيون في سينما رويال لمناقشة هذه المعاهدة، فاصيبا بجروح قاتلة.

واتهم في هذا الحادث عدد كبير من المعارضين بلغ عددهم (٢٣) في مقدمتهم علي محمود الشيخ وعوني النقشلي.

– واخيرا، وليس اخرا تنظر بالتقدير لكل مؤلف عراقي يتحرى الدقة والحقيقة فيما يكتب ويؤلف لنا وللاجيال المقبلة، وتحييه من صميم قلبنا.

وكان لمواقف الشيخ حبيب الخيزران رئيس عشيرة العزة، وبذله المال والسلاح الاثر الكبير في دعم افراد شائر الديوانية والحلة والكوفة وغيرها، وحين شعر بذلك الميجر (هايس) الحاكم العسكري في بعقوبة، طلب الاجتماع برؤساء عشائر المنطقة وقد حشر من حشر قطلب اليهم بضيغة الامر والتحذير، الانصياع لبياناته والابتعاد عن عوامل (الشغب) واشاعة البلبلة، ولابد من المحافظة على الامن والنظام.. الخ..

يواصل الرحالة الهولندي نيجهولت (وتلفظ نايهولت) الذي زار العراق سنة 1866 – 67 كلامه على العشائر، فيقول إن هناك على هذا الجانب من نهر دجلة قبائل اخرى لا تجتمع تحت اسم واحد بل تتبع الأصقاع التي تقيم فيها. ومن هذه العشائر التي تسكن الأراضي الممتدة من خريسان إلى جسر ديالى المسمى (الصفا)، وتعد 15 أسرة لها 1310 خيام و 2780 راجلا و1150 فارسا يقيمون في قرى خريسان، وهم زراع يتعهدون البساتين الواسعة المليئة بالنخيل وأشجار الفاكهة. ولهم أيضا الأغنام والماعز، وهم خاضعون للحكومة. وهم يأتون يوميا إلى أسواق بغداد جالبين الحبوب والثمار.

صفحات من رحلة الرحالة الهولندي نيجهولت الى العراق

بغداد قبل 100 عام

عشائر ديالى والكوت

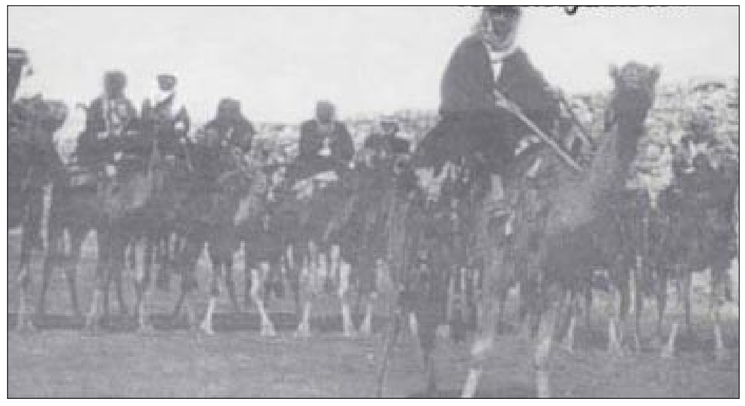

وعشائر مهروت (مهرود) التي تمتد منازلها الى الصحراء تتألف من ٩ اسر خيامها ٦٦٠ ورجالها ١٢٢٥ وفرسانها ٢٩٠، وكلها من الزراع وأرباب المواشي الذين يسكنون القرى ويؤدون الضرائب.

ثم عشائر (الروز) حتى الصحراء، وعدتها ٢٤ أسرة، خيامها ٢٣٨٠ ورجالها ٦٢٩٠ وفرسانها ٢٢٩٠ . أكثريتها سنية المذهب، وهي تعمل في الزراعة وتربي الاباعر والأغنام وقليلا من الخيل. وهي تخضع لسلطة الحكومة وترجع في أمورها الى قائممقام خريسان المقيم في بعقوبا، ومن اهم منازلها مندلي وبدرة وجصان.

أما مندلي فبلدة يسكنها نحو من ١٥٠٠ نفس، ومنهم الملاكون الذين لهم البساتين الجميلة في الضواحي ويحيون في بحبوحة ورخاء. وسائر الأهالي من العمال الذين يحسنون حياكة (الازر)، تلتف بها نساء بغداد، وسائر الأنسجة، ويقومون أيضا بأعمال الزراعة في الريق الذي يبدو قطعة واحدة من الخمائل ويجهز افخر التمور والفواكه. وقد شيدت الحكومة التركية قلعة في مندلي وعينت (قائممقام) ووضعت العساكر، فخضع الأهلون لأداء الضرائب والخدمة العسكرية مما لم تخضع له العشائر الاخرى. وتجهز ضواحي مندلي أيضا النفط والقير والملح. وبدرة وجصان اقل أهمية من مندلي، وأهلوهما يعيشون عيشة الكادحين ويؤدون الضرائب. ويتقن اهل بدرة صنع الاعبئة ولهم في هذه الصناعة ذوق لا يدانيهم فيه أهل جصان. وتنتج هاتان البلدتان تمورا حسنة لها في اسواق بغداد المنزلة الثانية بعد تمور مندلي. وتنزل في الضواحي عشيرة (السوزماتية) الآتية من كردستان والتي تحيي حياة التنقل والترحال. وهم جبل من الخجر لا يعملون في الزراعة ولا يملكون من الحيوان سوى عدد من الحمير تحمل متاعهم وخيامهم. وهم يتنقلون في أطراف مندلي وبدرة وجصان ليقوموا بأعمال التهريج والشعوذة، فيغني الرجال ويعزفون على الآلات ويرقص الأولاد من الجنسين على انغام الموسيقى النافرة.

ويقول الرحالة ان هؤلاء الناس يتخلقون بأخلاق خاصة بهم. ويتمتع رؤساؤهم بحق كان ينسب، على درجة اقل من الثقة، الى نبلاء أوربا في القرون الوسطى، فالفتاة التي تتزوج تقضي ليلتها الأولى في خيمة (الشيخ) او (الخان)، ثم يأتي زوجها في الغداة ليأخذها الى خيمته!

والعشائر العربية في خريسان وشهريان ومهروت وأنحائها حتى جسر ديالى والى الجنوب من ديالى الى كوت الامارة على دجلة وعدد نفوسه يقارب القسم الاول. ولكن هؤلاء (اي القسم الثاني) لا يؤدون الضريبة بل يخضعون لامير يختارونه وله راتب شهري من الحكومة. ونخوتهم (اخوة سعدى)، ولو انهم زراع باجمعهم واصحاب مواشي من اغنام وماعز واباعر وجاموس.

المجمع

عشائر المجمع (بتشديد الميم) او المجمعة ٢٦ اسرة، عدد خيامها ٢٣١٠ ولها ٢٩٢٠ راجلا و ٢٢٤٠ فارسا، ينزل بعضها في خريسان والاخرون في المنطقة الممتدة الى جسر ديالى المعروفة بـ(الصفا). ويتبع هؤلاء مذهب الامام علي اما الاولون فمن اهل السنة. ويؤدي الفريقان ضرائب الحكومة ويخضعون نوعا ما للتجنيد. ومرجعهم قائممقام خريسان التركي الكائن مقره في بعقوبا مع قوة عسكرية. ويمتلك هؤلاء العرب ثروة من الخيول الجميلة وقطعانا جسيمة من الاغنام.

الدفافعة

عشيرة صغيرة قوامها تس اسر، ولها ١٤١٠ خيام و٢٦٥٠ راجلا و٣٩٠ فارسا. وهؤلاء العرب يعملون زراعا ورعاة ويقيمون في المنطقة الممتدة من شهريان الى الصحراء. يغلب عليهم التشيع لاسيما في قصبة شهريان ونواحيها. ومنهم (الدواية) يتاجرون بخشب الوقود (الاحطاب)، يجمعونه في البراري ويحملونه الى بغداد.

الكرخية

عشر اسر ٧٢٠ خيمة وعدتها ٣١٧٠ راجلا و٩٩٨ فارسا. ولهم (امير) منهم يتولى امرهم، لكنهم يدفعون الضرائب الى الحكومة التركية. وللقبائل الكرخية منزلة واحترام كبير لدى كثيرة العدد ولكنها ضئيلة الشان بوجه عام، عدا سنا منها تستحق الذكر، وهي شمر طوكة والامارة والمجمع (بتشديد الميم) والدفافعة والكرخية والمقاصيص.

الإمارة (وهم ربيعة)

يسكنون على سواحل دجلة منطقة تمتد من خريسان إلى ديالى ومنها الى كوت الامارة، ومنها اشتق اسمهم. وتتألف العشيرة من قسمين مهمين، يسكن أولهما وعدته ١٥ اسرة في خريسان، وهو مؤلف من ١٣٨٠ خيمة ورجاله ٥٧٠ خيالا و٣٨٥٠ ماشيا. وهؤلاء انها سميت بهذا الاسم لانها تتبع شمر جربا، فاطلق عليها لقب (الطوق). وتنقسم الى اثني عشر فرعا ولها ١٢٤٠ خيمة و ٢٣٠٠ راجل و١٠١٠ فرسان ولابناء العشيرة قطعان الغنم والاباعر، وهم خاضعون للحكومة التركية يؤدون الضرائب بانتظام.

شمر طوكة

تنتشر هذه العشيرة من ديالى الى كوت الامارة (وهي الكوت الحالية). ويقول الرحالة ، يضاف اليهم نفر من اشياع علي، يدفعون الضرائب ويمتهنون الزراعة وتربية الاغنام والجمال، ولهم جنس اصيل من الخيل يربونه للتجارة اكثر مما لركوبهم كما يدل عليه عدد فرسانهم. وينتطبق ذلك ايضا على القسم الثاني الذي ينتشر من الهدية الى الكوت، سائر العشائر العربية نسكن سبع اسر منهم في (مهروت)، اما الثلاث الباقية وعدد كبراها ٢٠٠٠ نفس، فتقيم لدى امير القوم على مقربة من كوت الامارة التي تقع على دجلة في منتصف الطريق بين بغداد والبصرة.

ويذكر الرحالة بعد ذلك ست عشائر صغيرة او بطون لايجمعها اسم واحد ولكنها تنزل في انحاء نفس مدينة الكوت، وعددها ١٠٦٠ فردا بلا فرسان ويقوم هؤلاء بتربية الغنم والماعز ولهم منها قطعا كبيرة، وهم يتبعون مدير كوت الامارة العثماني ويؤدون الضرائب بانتظام.

لم يذكر المقاصيص وينضم اليهم (السراي) او السراج بتشديد الراء وقد قلبت الجيم ياء، قال ذلك صديقنا المغضال الاستاذ عباس العزاوي، وهم من ربيعة – ، ينزلون في جهتي دجلة من الكوت الى مناطق بني لام. والمقاصيص والسراء قليلو العدد (٥١٠ خيام و١١٢٠ راجلا و ٩٤٠ فارسا)، وهم شجعان ومحاربون، لايدفعون الضرائب وينتسبون الى شيعة الامام علي. غير انهم يلبون نداء الحكومة كلما احتاجت الى خدماتهم، ونخوتهم (اولاد الحسين). وثروتهم من الاغنام والجياد الاصيلة.

بنو لام

يختتم الرحالة بحث العشائر بجماعة (بني لام) التي تسكن الاراضي الشاسعة على جانب دجلة الايسر من نواحي الكوت الى القرنة حيث يلتقون بـ(البو محمد) ومن النهر الى جبال حمرين. واصل بني لام من (الغضول) الساكنين في بلاد العرب بجوار مكة المكرمة، وهم ينتسبون الى شيخهم الاكبر (فريجي لام) الذي ترك سبعة اولاد كبيرهم (عبد الشاه) خلفه في المشيخة.

وعرفت ذرية عبد الشاه ببني لام، وقد نزلوا في وادي دجلة ومنذ نحو عشرين سنة فقد بنو لام رئيسا عظيما في شخص شيخهم الاكبر (مذكور بن جنديل) الذي ساس امورهم بحكمة زهاء ثلاثين عاما. وقد خلف مذكور ثمانية ابناء، وهم شغلج وحطاب ومزيان وصقر وعاكول وموسى وحمادي وبنيان، تزعم كل منهم فرعا من القبيلة الكبيرة التي انقادت لابيهم انقيادا اعمى. لكن اقدرهم على الرز في اهوار مناطقهم. وتقدر مواشيهم بـ ٣٥٠ الف غنمة و٢٠ الف ثور وبقرة و ٢٥ الف بعير و٤٦ الف جاموسة وهم الذين يجهزون بغداد بما تحتاج اليه من اللحوم والزبدة، وتقدر كمية هذه المادة الاخيرة بنحو مائتي الف حقة.

ويرسلون الى تلك المدينة ايضا بجزء من اصوافهم، بينما يقومون بغزل الجزء الاخر ونسجه لعمل ملابسهم.

ان بني لام لم يخضعوا قط لسلطة الحكومة التركية ولا لحكومة الايرانية التي كانت محكمة قوية قد انفصمت غير مرة منذ ابتداء القرن التاسع عشر: فقد اخبر الرؤساء المضطهدون والذين يبعدهم الشيوخ الاقوياء المتغلبون ياتون الى بغداد ليقدموا فروض الطاعة الى واليها، فينحنهم الباشا الاراضي والرواتب. ولكن ما ان يدعوهم شيوخهم حتى يبادروا الى العودة بعد ان ينهبوا الاماكن التي عهدتها الحكومة اليهم.

وفي بعض الاحيان يطلب رجال العشيرة حماية السلطات التركية. ولقد قامت هذه بايجار المزارع على شاطيء دجلة الى نفر من الرؤساء الذين تولوا زراعتها بسواعد اتباعهم.

وفي اوائل سنة ١٨٦٦ غضب جماعة من هؤلاء الزراع لفداحة الضرائب التي فرضها شيوخها على بيع ماشيتهم، فاعلنوا رغبتهم في العيش تحت سلطة الوالي المباشرة. وقد كان نامق باشا في ذلك فرصة سانحة لاضعاف شوكة بني فاجاب طلبهم وسحب امتياز الشيوخ في التزام تلك المراعي الشاسعة الاطراف التي حسبوا انهم اصبحوا مالكين لها ابى الدهر. وكان ذلك ايذانا بنشوب المعارك، لكن مرت شهور في حالة مريبة لا يمكن ان تدعى بالحرب ولا بالسلم. وقد شن بنو لام غاراتهم حتى ابواب الكوت حيث تعسكر القوات التركية المسؤولة عن جماعة المنطقة. بيد انه لم يكن من السهل الاشتباك بهم، لانهم كانوا ، اذا لوحقوا ، يتوغلون في الاهوار الوعرة المسالك على ضفاف دجلة. وفي تشرين الاول ١٨٦٦، قبل مدة قصيرة من وصول سائحنا الى بغداد، قرر الباشا وضع حد لهذه التحركات الخطرة، لاسيما ان النزاع مع الشيوخ المجردين من اراضيهم قد عم العشيرة برمتها، فاجتمع شملها عودا على بدء قل ظل الشيخ الاكبر مزبان الذي اعترف الجميع بزعامته.

وصدرت الاوامر الى شبلي باشا، وهو سوري الاصل، ان يقود حملة قوامها ثلاثة الاف رجل الى قبل منطقة بني لام، فوصل بعد مسيرة اثني عشر يوما الى (كرخة) على الحدود الايرانية مباغتا مزبان ومعظم القبيلة. وشن القائد التركي هجومه، لكن بني لام تملصوا من المعركة ومضوا باسرع ما حملتهم ركائبهم الى الاراضي الايرانية، حيث شرعوا بنهب (السكوند) ليعوضوا عما تركوه في خيامهم اسلابا للقوة التركية. وقد واصل شبلي باشا مدة خمسة او ستة ايام، في دائرة تمتد بضعة فراسخ ، اعمال النهب العزيزة على العساكر الشرقية (كذا). لكنه خاف ان يعود عدوه على اعقابه فيهجم عليه بعنفوان قوته، فاكتفى بما فعل وقفل راجعا الى بغداد. ولقي في طريقه مواشي بني لام فاستولى عليها وباعها الى تجار كانوا يتبعون الحملة العسكرية لانتهاز مثل هذه الفرص. وقد ادعى القائد انه لم يقم بتلك الصفقة الا لاجل تعويض حكومته عن النفقات الطائلة التي تكبدتها، غير ان التجار لم يكن يكفيهم ان يستحوذوا على تلك الماشية الجسيمة بابخس الاثمان، بل كان عليهم ان يسوقوها الى الكوت لبيعها. فطلبوا الى شبلي باشا، والحوا عليه الحاحا، ان يغير طريقه او يمنحهم جندا لحراستهم حتى يبلغوا البلدة. ولكن القائد كان مسرعا في العودة الى بغداد، فاجاب مطلب التجار المساكين على الطريقة التركية (كذا)، فاوسعهم ضربا وتركهم في البادية حيث فقدوا اكثر اغنامهم التي لم يدافعوا في الحقيقة سوى جزء من ثمنها !.

وبنو لام المجاورون لبلاد ايران. وتختلف طباعهم عن سائر العشائر العربية، فهو في الاعم رجال حرب ويميلون الى المذات، يحبون المطاعم والمشارب والاسمار اللطيفة. وهم معروفون بالكرم وقرى الضيف لكنهم يحتقرون الناس الذين يتاجرون معهم ولا يحترمون سوى المحاربين الذين يسمحون لهم بالتنقل في اراضيهم بكل امان. ويقول الرحالة بعد ذلك ان بني لام مغرمون بالنساء وللكثير من رجالهم سبع او ثماني زوجات (كذا). وقد كان لشيخهم مذكور اثنتا عشرة امرأة، ولاحد مشايخهم الاخرين فيصل عدد لايقل عن ٦٥ (كذا)!

وينتهي الرحالة الى ذكر المنتقف، وهم عشيرة كبيرة تسكن غربي الفرات ولا تقل شانا عن بني لام. لكن علاقتها ببغداد ليست وثيقة كسائر العشائر التي عددها ، ولذلك يمسك عن تفصيل امرها.

البلد 1967/3/30
ستصدر الترجمة كاملة بتحقيق الاستاذ الدكتور طارق نافع الحمداني

لمحات من تاريخنا الرياضي

من هو اللاعب القوي وعضو منتخبنا الاولمبي الاول الذي ادخل حارس المرمى وكرته سوية الى الهدف؟!

جميل الطائي

هو شخصية رياضية فذة لم يتعرف عليها أبناء جيلنا، عرفته الساحة الرياضية العراقية والعربية والدولية والاولمبية كثيرا التقيته وبصحبة الصديق الرياضي إسماعيل حمودي في المجلس الأدبي الذي يعقد مساء كل يوم احد من كل أسبوع في دار الصديق الأديب الأستاذ عبد الرحمن عبد الكريم الريس في منطقة الأعظمية، ونظرا للخدمات الجليلة التي قدمها المترجم له ولهذا الوطن العزيز في مجالات الرياضة وضروبها المختلفة، لابد والحالة هذه، من أن نقوم بترجمة حياته لكي يطلع عليها أبناء جيلنا والأجيال القادمة من محبي الرياضة ذلك هو الرياضي الخلوق عبد الودود خليل جمعة.

ولد في جانب الكرخ وبالتحديد في محلة (الست نفيسة) عام ١٩٢٧م، دخل روضة (ست ملفين) ثم مدرسة دار السلام الابتدائية ثم انتقل الى منطقة الأعظمية في مرحلة الصف الثالث الابتدائي، والتي أكملها سنة (١٩٣٩ – ١٩٤٠) حيث دخل المدرسة المتوسطة ثم الثانوية (الفرع العلمي)، وتخرج منها سنة ١٩٤٦ – ١٩٤٧، وتخرج منها بتاريخ ١٩٥٠/٧/١ برتبة ملازم ثاني (صنف المخابرة) أي سلاح الإشارة وعين آمر فصيل المخابرة في فوج الحرس الملكي الأول بنفس التاريخ، ثم أحيل على التقاعد بناء على طلبه في تاريخ (١٩٥٣/٧/١) لإصابته بالتهاب الفقرات القطنية، وعلى اثر هذه الإصابة غادر العراق في تاريخ ١٩٥٣/٨/١ قاصدا النمسا للاستشفاء والدراسة معا وبعد مضي أربع سنوات من هذا التاريخ غادرها متوجها إلى ألمانيا (الغربية) للدراسة أيضا وقد عمل في السفارة العراقي في (بون) بصفة سكرتير محلي، ثم عين موظفا إداريا في السفارة بعد أداء امتحان التعيين في وزارة الخارجية ثم نقل إلى وزارة الإسكان والتعمير وعمل بصفة مدير إدارة وخدمات في المؤسسة العامة للطرق والجسور أحيل على التقاعد بناء على طلبه أيضا بعد مدة عمل (٢٧ سنة) بدرجة خبير إداري بتاريخ ١٩٨٣/١/١.

مؤهلاته الرياضية:

زاول كرة القدم منذ نعومة أظفاره حيث لعب هو وشقيقه عبد السميع ضمن فريق مدرسة الأعظمية الابتدائية الأولى وكانا اصغر لاعبين في المدرسة المذكورة، كما لعب في فريق الأشبال الذي أسسه اللاعب الدولي المعروف يومئذ اللواء المتقاعد (أديب نجيب)، وكانا يتمرنان في ساحة صغيرة تدعى (ساحة اديب) ثم لعب في فريق متوسطة الاعظمية بصفة حامي هدف (لكونه لاعبا كرة سلة) وكذلك ان يلعب لفريق الصف بمركز شبه وسط، ولعب لمنتخب المعارف بمركز شبه وسط وقد ثبت هذا المركز المدرب العالمي الانكليزي (جورج رينير) ثم لعب في منتخب بغداد بمركز شبه يمين الى جانب اللاعب الدولي المرحوم طه عبد الجليل وذلك سنة ١٩٤٥ وقد ترأس لاعبنا ودود فريق ثانوية الاعظمية ثم الكلية العسكرية من عام (١٩٤٧ – ولغاية ١٩٥٠) ثم ترأس فريق الحرس الملكي لغاية سنة ١٩٥٣، كذلك ترأس اول فريق وطني عراقي سنة (١٩٥١) وذلك في تركيا حيث لعبا في ازمير وانقرة وكانت خسارتهما في تلك المباراتين حسبما حدثني بها كانت نتيجة عدم تكافئ اللاعبين.. وقد عرض عليه هناك نادي (فنربقجة) التركي ليلعب كمحترف الا ان بطلنا ودود رفض هذا الطلب، ثم لعب في النمسا عام ١٩٥٥ مع نادي اوستريا ثم مع الشرطة القينانوية، ثم شكل فريقا من الطلبة العرب وبعد فترة اعتزل لعبة كرة القدم وكان هذا عام ١٩٦١.

لعبة كرة السلة: زاول ودود هذه اللعبة بعد كرة القدم مذ كان طالبا في مدرسة الاعظمية الاولى وكان مدربه في تلك الفترة المرحوم (عبد الوهاب عبدي) وترأس فريق مدرسة الاعظمية المتوسطة والثانوية في هذا الضرب من الرياضة وانتخب عضوا في المنتخب الوطني حيث فاز فريقه على منتخب لبنان وقد جرى السباق في الاعدادية المركزية عام ١٩٤٥ وكذلك زاول هذه اللعبة في الكلية العسكرية ثم انتخب عضوا في الفريق الاولمبي العراقي عام ١٩٤٨ وقد جاء انتخابه لهذه اللعبة بعد ان انتخب الفريق كاملا وقد رشحه المرحوم الاستاذ اكرم مهدي بعد اللعبة الاولى والتي كانت مع الغلبين لان يكون ودود رئيسا للفريق حيث سجل خلال عشرة دقائق (١١) نقطة على فيق الغلبين وكان رصيده في جميع اللعبات اكثر من بقية اللاعبين وقد رشح ايضا لزيارة العائلة المالكة في لندن ومذاك. وقد لعب ودود في فريق الحرس الملكي لمدة ثلاث سنوات وكان الفوز حليفهم ومن جملة ما لعبوا كان ضد فريق نادي الامير الرياضي حيث سجلوا ٩٣ نقطة مقابل ٦٥ نقطة، وكان رصيد لاعبنا ودود ٦٣ نقطة. كما لعب مع فريق جامعة فيينا عام ١٩٥٤ وقد شكل فريقا من الطلبة العراقيين والعرب هناك.

الهوكي: زاول هذه اللعبة منذ كان في المتوسطة والثانوية والكلية العسكرية والحرس الملكي حيث مثل المنتخب الوطني بهذه اللعبة للعب ضد الهند وباكستان حيث فاز على الأولى وتعادل مع الثانية.

كرة الطائرة: زاول هذه اللعبة أيضا كذلك زاول كرة الماء في موسم الصيف فقط وقد خاض فريقه مباراة في مسبح الأمانة ضد فريق الأمانة وقد فاز فيها فريقه حيث وزعت عليهم الجوائز من قبل الملك فيصل الثاني، زاول أيضا لعبة الجمناستك وكان له الموقع البارز فيها ولعدم وجود مرشدين لهذه اللعبة ومدربين لها فقد أصيب كما قال لي بالتهاب الفقرات القطنية زاول ألعابا رياضية مختلفة أخرى، مثل السباحة والغطس بالماء والملاكمة والساحة والميدان وكرة المنضدة ورمي القرص وقد كان نصيبه فيها الفوز بالمراكز الأولى.

نصيحته للرياضيين الشباب:

ونصيحة لاعبنا الفذ ودود خليل الجنابي للاعبينا الصاعدين هو بان يسلكوا الطريق الذي سلكه لاعبونا أيام زمان بعد ان أصبح التخصص طابع الألعاب الرياضية كافة.

ابرز حدث في حياة بطلنا ودود هو تسجيله في لعبة كرة السلة ضد فريق نادي الأمير الرياضي (٦٣) نقطة من مجموع (٩٣) نقطة وهذا التسجيل يعد ثاني تسجيل في العالم حيث المسجل الأول من مجموع النقاط هو اللاعب الدولي عبد الكريم عبد الجبار حيث سجل (٦٧) نقطة في لعبة واحدة، أما عن أصعب وأطرف حدث في حياته قوله: كسر يد احد حماة الأهداف في فيينا من ضربة جزاء حيث تحداه بعدم تسجيل هدف عليه من ضربة جزاء فكانت الضربة قوية جدا بحيث ردها بوضع يده اليمنى مما أدت إلى كسر رسغ اليد، وكذلك ادخل حامي الهدف (راسم القيسي) مع الكرة إلى داخل الهدف من ضربة حرة من وراء خط الجزاء.

عزيز الحجية .. تراث بغدادي اصيل

لقاء اجراه الصحفي الراحل رشيد الرماحي

مع المرحوم الدكتور مصطفى جواد وسالم الالوسي

عزيز الحجية، ركن ركين من اركان التراث الشعبي، والرياضي في عراق الثورة، وعلم من اعلام بغداد، فوقه نار لا تنطفيء.

كتب كثيرا ، وبحث والف، ونضح عرقا، وتحدث في وسائل الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، ودوى صوته في الندوات، والقى المحاضرات وشارك في المؤتمرات، وسير اغوار عالم التراثيات، وجاس خلال مجاهله راجلا وراحلا.

انحدر من ارومة كريمة، ونشأ في بيئة شعبية نقية، غرست في نفسه احمد الخصال الطف الشمائل، واحلى العادات، فكان عزيزا في اسمه وكان حيث اراد ان يكون.

انطلق في اشواطه الاولى مولعا بالحركة واللعب، واظهر في بواكير الارتجال الشاق الطويل نجاحات وانتصارات، ودلت الدلائل على ان الحدث اليافع، سيرتفع له ذكر، ويتردد له صدى ، وسينتزع له موقعا مرموقا في الصفوف الاولى من موكب الصفوة الفاعلة البالغة.

الحجية، من رجال السيف والقلم المعدودين في بلادنا، عجمت عوده الايام، واختبرته صروفها، وهو احد السيوف التي صقلتها التجربة، وارهفت حديها الاحداث، ولا تريد ان نضع له مرتبة بين مراتب التفوق، لانه هو لا يريدها.

× سالنا ابا حياة، اول ما سألناه عن اصدقائه الحميمين الذين نشأ معهم فقال:

– اصدقائي الاوائل – والاواخر – عديدون، وكلهم في السويداء من قلبي، الا ان المرحوم ياسين كنه له منزلة روحية من نفسي، ولدت واياه في اسبوع واحد، وعشنا متحابين في الله، لم نفترق الا بعد نجاحي الاخير في الغربية المتوسطة.

ومن اصدقاء الطفولة الخلصاء: عبد الرحمن عبد الستار (عميد متقاعد) وزبيري رمضان، وعبد الكريم وهيب، وعبد الكريم داود، وفؤاد الحمامي، والفنان كامل القيسي.

×وماذا عن بداياتك الاولى عند الملالي، كما هي عادة ابائنا على ايامهم؟

– دخلت كتاب (لاله اطرش) ثم كتاب (لاله ابراهيم) الذي تركته نهائيا عندما (فلقني) ظلما وباطلا، ولم اعد اليه ولا الى غيره من الملالي والملالات.

× واين كان الاتجاه؟

– الى مدرسة الفضل، حيث اكملت فيها الابتدائية ، كان من مدرائها •جمال ريو) واعتقد ان ضخامة جسمه الحقت به هذه (التعلوكه)، وكان يدرسنا الرسم ايضا ومن المدراء الموجهين، المرحوم (يحيى. ق) ووكان يدرسنا التاريخ العربي، وعرف عنه شدة ولعه وحبه للحضارة وماضينا المجيد.

اما من معلمي هذه المدرسة فاذكر: خالي المرحوم عبد الستار القرغولي، الذي غرس في نفوسنا حب اللغة العربية والاقبال عليها. ثم معلم الرياضة فايق الجنابي، الذي كان حارس مرمى فريق دار المعلمي الفائز بكاس (كاجول)

وكذلك احمد عزيزن من معلمي الرياضة ايضا، وهو من السليمانية ، وشاهدته بعد (حفنة) من السنين وهو برتبة (عقيد طيار).

× وفي المدرسة الغربية؟

– كان مديرها يوم كنت طالبا فيها السيد طه مكي، اما من طلابها فلا انسى اخي وصديقي عبد الله احمد (عقيد متقاعد)، كان من ابرع لاعبي كرة القدم على مستوى القطر، واشتهر بالخط وبرع بالكتابة، ومنح لدارته وسام الرافدين ونوط الشجاعة، ومن احبائي في هذه المرحلة الاستاذ نجم الدين السهروردي عميد كلية التربية الرياضية الاسبق. ولن اغفل المرحوم منير عبد الجبار الذي كان من رياضيينا الجديين، وكذلك الاخ احمد البصام المحامي.

× ثم؟

– تحولنا الى الثانوية العتيدة، المركزية، درسنا فيها شهورا معدودة، دخلنا بعدها الثانوية العسكرية عام ١٩٣٨ – الدورة الاولى – وقطعنا الشوط الصعب وانتهينا منه ونحن برتبة عقيد عام ١٩٦٣.

× هذا اختصار شديد، يسعونه باللهجة البغدادية (دفعة)!.

– عفوا. بعد تخرجي في الكلية عام ١٩٤٢ برتبة ملازم وكان امر الكلية يومها (علي غالب اسماعيل)عينت في الحلة كآمر فصيل وضابط العاب، ومن شدة ولعي بالرياضة، دخلت احدى الدورات العنيفة، واكملتها بتفوق حث كنت الاول على اقراني، فعينت معلما في دورات التدريب العنيف، وعندما كنت في الحلة تقدمت بطلب التطوع للاسهام في شرف معارك فلسطين، وقد اديت ما علي من واجب مقدس مع رفاقي حملة السلاح، وحين عدت من هناك، رجعت الى الكلية العسكرية وعينت ضابط العاب فيها، ثم شغلت مناصب رياضية عديدة منها: رئيس العاب القوة الجوية، ومسؤول ع منتخب الجيش كرة القدم، ورئيس اتحاد رفع الاثقال، واتحاد السباحة، وقد حققنا نجاحات عديدة في السباقات التي شاركنا فيها، يطول شرحها.

× ما هي (جذور) اهتمامك بالرياضة؟

– شببت وانا مولع بالالعاب الشعبية، التي يمارسها اولاد المحلات في الازقة والدرابين، وهي في حقيقتها العاب رياضية صرفة، مصممة تصميما دقيقا ونكيا، منها: طفيرك يا كمر وسمبيلة السبيلة.. والزيتونة.. وحرامية وجرخجية.. وتسعة والبيضة.. التنور خراب.. وغيرها، وهذه (اللعبات) جمعها المرحوم عبد الستار القرغولي في كتابه (الالعاب الشعبية لفتيان العراق) عام ١٩٣٥ن ثم مارست السباحة والمصارعة على ضفاف دجلة في (المجيدية)، وفتحت وزارة المعارف مسابح للطلاب في هذه المنطقة وفي الاعظمية والكاظمية، وكانت هناك شريعة السيد سلطان علي واقيمت عليها مسابح عامة و(جراديخ) يديرها الملتزم داود بحرية وفي مسابح المجيدية كان يحضر المرحوم مجيد لولو كمدرب للمصارعة انتدبته وزارة المعارف.

× يقال انك تفوقت ايضا في لعبة كرة السلة؟

–صحيح..ساعدني طولي ونحافة جسمي على ممارسة هذه اللعبة بمهارة، وقد صاحبتني في المتوسطة والثانوية وفي مراحل العمر المتقدمة، ان حبي الكبير للرياضة وعوامل اخرى، هي التي دفعتني للدخول الى الكلية العسكرية.

× وما هي بعض هذه الامور الاخرى؟

– وجد ابن عمتي الشهيد نعمان ثابت عبد اللطيف، معنا في البيت، وهو ايضا زوج شقيقتي الكبرى. لقد تأثرت كثيرا بشخصية هذا الانسان الفذة، واعتبرته مثلي الاعلى منذ نعومة اظفاري، كان شاعرا مجيدا، وكاتبا من طراز فريد، له ديوان شعر (شقائق النعمان) ومؤلفات عسكرية مهمة منها (الجندية في الدولة العباسية) و (الجاسوسية في الجبهة عشت معه كظله، واخذت عنه اشياء كثيرة كنت قد تطرقت اليها في مجالات عديدة من باب الاعتراف بالفضل. لقد دفعتني صفاته المثالية، ان انخرط في السلك العسكري، واكون جنديا مستبسلا يعي مسؤولياته ويتفهم حقيقة موقعه.

× عرف عنك انك فتحت سوقا عصريا للتموين المنزلي!

– نعم، بعد الاتكال على الله، وانتمائي الى غرفة تجارة بغداد بتاريخ ١٩٦٣/٨/٢٤ برقم اضبارة ٢٩٠٧/ع صنف ثالث، وخولت المتاجرة (بالعطاريات والبقاليات والمعلبات) الا ان الزبائن الكرام (المعاميل) ما كانوا يسددون ديونهم الشهرية بانتظام وبعضهم لا يسددونها نهائيا، واخرون (سووها فلوس الحمص والزبيب) وبالتدريج (طلعنه ملص) و(مسحنه ايدينه بالحايط وصبرنه وكلنه الخلف بوجه الله)، و(ذاك يوم وهذا بداله).

× وبعد التجارة؟

– اتسمي يا عزيزي هذه تجارة؟ (لو كسران ركبة)، (لقد ضاعت الصاية والصرماية)! ليكن.. بعدما اتفقت مع اخي وصديقي الحميم جدا الاستاذ عبد الحميد العلوجي، وافتتحنا مكتبا (لتعضيد النتاج الفكري وهداية القلم الناشيء) تحت اسم – مكتب العلوجي والحجية – ولو كتب لهذا المكتب بعض النجاح، ونال حظا من المؤازرة لكان من اكبر دور النشر في الشرق الاوسط، ولادى خدمة للثقافة تذكرها الاجيال، لان المنهاج الذي وضعناه، كان يحتم تحقيق هذه الفكرة الجبارة فمن اهداف المكتب:

– تزويد الباحثين والطلاب بالمراجع والمصادر في مختلف الموضوعات.

– كتابة مذكرات الاشخاص .

– الاشراف على طبع الكتب والمجلات ونشرها، وتنظيم الفهارس وفق رغبة مؤلفيها.

– فهرسة المخطوطات.

– تطهير الكتب والابحاث من الغلط اللغوي، والخطأ النحوي، والتصحيفن وتشكيل الكتب بالحركات.

– وضع التصاميم لاغلفة الكتب والمجلات.

– يقدم المكتب خدمات في حقل الترجمة من اللغتين الانكليزية والفرنسية الى العربية وبالعكس.

× وماذا كانت النتيجة؟

– اعمال محدودة لا تشجع، انجزنا طبع كتاب وعد بلفور من تاليفن وكتاب (صور من حياتنا الشعبية) لطلال سالم الحديثي، وكتاب (الشيخ ضاري: قائل الكولونيل لجمن في خان النقطة) وهو من تاليفي ايضا مع الاخ عبد الحميد العلوجي، والكتاب الاخير من الكتب الوثائقية المهمة.

فكان مصير هذا المكتب الثقافي مصير المحل التجاري، اخنق هو الاخر في اداء خدمة حسنة للناس!.

× هل لنا ان نعرف سر هوايتك للتراث وللبغداديات؟

– لقد اوحت الي المرحومة والدتي بكل ما كتبت من (البغداديات) فمنها تعلمت وتثقفت وتفقهت بما كان خافيا علي من فنون هذا الميدان الواسع، كانت تجد ذاتها (بغدادية) صميمة، بلبسها، وحديثها، ومعتقداتها وطبخها، وادارتها لامور البيت المختلفة، من كنس ورش وغسل ملابس.. الخ. وكذلك كن عماتي وقريباتي، والبيئة التي عشت فيها.. جامع.. منارة.. رمضان.. محية.. زكريا.. كسلات.. اعياد.. مراجيح.. شيخ عمر!! كانت تتجلى في امي معاني الام الدؤبة، وتختزن في وجدانها اجلم الصور البغدادية، بجاذبيتها، وتمتماتها، وزخارفها. وجميع اجزائها وتفاصيلها، فبدأت اجمع منذ الصغر كل ما له علاقة بهذا الاسم الخلاب (بغداد) وكان ذلك منذ عام ١٩٤٣ وبدأت بالامثال العامية، لان الامثال، كما يقول العلامة المرحوم الشبيبي، (خلاصة تجارب الاقوام، ومحصول خبرتهم) فالفت تمثيلية محلية بعنوان – المايوني يغرق – عام ١٩٥٨ ضمنتها مجموعة كبيرة من امثالنا الدارجة، وقد قدم لها المرحوم الدكتور مصطفى جواد، يوم كان عضوا في المجمع العلمي العراقي، ما زلت اعتز بها، كما قرضتها الاديبة الشاعرة اميرة نور الدين داود، واشار اليها الاخ الباحث الاستاذ عبد الرحمن التكريتي في جمهرته.

× والبغداديات، متى صدرت؟

– صدر الجزء الاول منها عام ١٩٦٧ والثاني عام ١٩٦٨ والثالث عام ١٩٧٣، واقوم حاليا بتصحيح ملازم الجزء الرابع، وتقوم وزارة الثقافة والاعلام مشكورة بطبعها ونشرها، والسلسلة بمجموعها تصور الحياة الاجتماعية والعادات البغدادية خلال مئة سنة مضت، وارجو ان اوفق لاتمامها.

× وحاليا!

– حاليا اعمل في اللجنة الاولمبية، حيث عينت فيها لاول مرة في ١٩٧١/٦/١ كسكرتير متفرغ، ثم شغلت وظيفة مدير ادارتها، واخيرا نقلت الى مكتب الثقافة والاعلام التابع لها، ولا تضم هذه اللجنة بطبيعة الحال الا الرياضيين الذين خدموا الرياضة خدمة حقيقية طويلة.

× وماذا عن مدام شامبو؟

– الدكتورة دومنيك شامبو هي سكرتيرة متحف الانسان في باريس، وقد حضرت احد المؤتمرات الفولكلورية التي عقدت في بغداد في نيسان ١٩٦٧ بدعوة من وزارة الثقافة والاعلامن وهي تحمل ثلاث شهادات دكتوراه في موضوعات فولكلورية مختلفة انا مع المدعوين من قبل الوزارة باعتباري، احد المهتمين بهذا الموضوع، ولدى لقائي بها علمت من الاخ الدكتور اكرم فاضل، وكان يقوم بالترجمة بيني وبينها، بانها تود الاطلاع على الحياة البغدادية (ميدانيا) فدعوناها انا والاخوان الى بيوتنا، واطلعناها على زوايا (وزواغير) البيت البغدادي، واحطناها بالرعاية وكرم الضيافة العراقية، وطبخنا لها من اكلاتنا الشعبية (كالدولمة والكبة والخبز عروك والتمن والمرق باشكالها والبردة بالاوي والباجه والباكلة والكباب والسمك المسكوف) ما استحوذ على اعجابها، والتقطنا معها عددا من الصور التذكارية، واهديتها – في جملة ما اهديتها – مكحلة فضية نادرة كنت اعتز بها، وكانت ذكية للغاية وفولكلورية حقيقية (تمام التمام) ما يعبر عليها (قرش قلب) .

× بصفتك من المشتغلين القدامى بالفلكلور، ومن الدائبين لجمع المعلومات المتعلقة به من افضل وايسر مصادره، ماذا تقول في مجلة (التراث الشعبي) العراقية؟....

اعتذر السيد الحجية عن الاجابةن وربما كان في فمه ماء ونحن لا ندري، واكتفى بالقول: لا جواب عندي.

× والغناء العراقي؟

– انني من المفتونين بالغناء العرقي، وخصوصا المقامات العراقية، شريطة ان تؤديه اصوات جميلة ومتمكنة، ولا استطيع ان اكتم اعجابي بصوت المرحوم ناظم الغزالي، الذي كان صديقي (وابن صفي) في الغربية المتوسطة.

× واخيرا، ترغب ان نسألك عن بعض اصدقائك التراثيين، ماذا تقول في الاستاذ عبد الرحمن التكريتي؟

– ابو زهير.. صديق فاضل ، واخر وفي، ورجل صبور، وهو من الضباط المعدودين الذين كتبوا والفوا، وحملوا السيف والقلم بجدارة واهلية عالية وهم: عبد المطلب الامين، والمرحوم نعمان ثابت، وشكري محمود نديم، وشيت محمود خطاب، ونعمان ماهر الكنعاني، يمتاز التكريتي بالبحث الدقيق، والاسلوب المتين، ينقب عن الامثال واصولها ويجلو عنها اتربة الاندثار. اتحف المكتبة العربية التراثية بالجيد الممتاز من مؤلفاته، ونحن نطمع بالمزيد.

× والصحفي الازدي؟

– ابو جعفر صديقي (وابن طرفي) قبل ان تنبت شواربنا، لعبنا صغارا حفاة في الطرقات وجمعتنا الدراسة ايضا، كان يسكن محلة القرغول التي ارتبط بها عن طريق جدي عبد الوهاب، وخالي مختارها السيد رشيد جونه، كنت معجبا بمجلته المحبوبة (قرندل) التي وجدنا فيها المتنفس الرحب وكم تخوفت عليه من بطش السلطات يومئذ، واكبرت فيه صراحته وشجاعته، وهو ابن ذلك النجار البسيط الذي اجنب هذا الابن الذكي، ليخدم وطنه بقلمه الرشيق.

× والعلوجي؟

– ماذا اقول في ابي غسان؟

ما زلت اشكر الظروف التي جمعتني به لاول مرة، والتي اثمرت صداقتنا وخلدتها، العلوجي دمث الاخلاق، عالم باحث ، متعمق، جزل العبارة متينها، تفرد باسلوب كتابي رائع نادر المثال. شاركته في العملن فاكتشفت فيه صفات اخرى غاية في الطيبة، هو من رجال الثقافة القلائل في بلادنا، وعلى الصعيد العربي ايضا.

× وبعد؟

– ليس لي بعد هذا الا ان احيي هيئة تحرير جريدة العراق وابارك خطتها الجديدة، بتخصيص بعض صفحاتها للتراث والمعاصرة، واقدر هذا الجهد المبذول في احياء تراثنا الخالد، ونحن سعداء به، ولك انت شخصيا شكري وحبي وعندئذ شدت على اليد القوية، الندية وودعت (ابا تراث) وما على لساني غير كلمة: شكرا.

××××××××××

السبيلخانة وبستان الربع؟!

انني ابحث الان عن (مرمرة) ثمينة كانت على باب (السبيلخانة) التي انشأها المرحوم والدي سنة ١٩٠٤ ثوابا على روح المرحوم والده، الذي كان (باش قصاب) و (زنكين) وله صداقات وعلاقات طيبة مع الناس، كبيرهم وصغيرهم، وكان يتفقد معارفه ويتفق في وجوه الخير بسخاء ويساعد المحتاجين، وعندما انتقل الى جوار ربه، بكته بغداد وشيعته بالحسرات.

كان موقع هذه السبيلخانة في بداية العيواضية، في مدخل الشارع المؤدي الى مستشفى (مير الياس) سابقا، وعلى ارض مساحتها (١٥٦) مترا، وهي جزء من (بستان الربع) الذي كان يملكه جدي ويشمل المساحة المحصورة بين جامع عادلة خاتون من جهة اليمين حتى نهر دجلة، ودار السيد صالح صائب مرورا بمقبرة الاتراك فكلية طب الاسنان حتى النهر ايضا، من جهة اليسار، وقد استملكتها امانة العاصمة مؤخرا.

والطريق بين بغداد والاعظمية والكاظمية، في تلك الفترة، كان يقطع على ظهور الدواب والخيول على شكل (كروان) واستعملت كذلك انواع من (العربانن) البدائية لنقل (العبرية) وكان مركز تجمعهم وانطلاقهم، منطقة الميدان، مكان المدرسة المامونية السابق، حيث (الطوايل) فكانوا يقفون عند هذه السبيلخانة، يشربون الماء ويتوضوع ويصلون، ويترحمون على منشئها.

والمرمرة التي ابحث عنها كانت فوق مدخلها، وفيها اربعة ابيات من الشعر، نظمها المرحوم عبد الوهاب النائب، ارح فيها انشاءها، ومطلعها:

جاسم قد بنى واحسن صنعا
لابيه محمد خير منهل

وقد نسيت ابياتها الثلاثة الاخرى، وهذا ما يؤسفني ويحز في نفسي، لانني فقدت اثرا ثمينا، كان يجب ان اقتنيه، وان احافظ عليه.

××××××××××××××

الحجية !

هي ام خلف، والد جدي، قصدت بيت الله الحرام، حاجة على ظهور الجمال قبل (٣٠٠) سنة وكانت الرحلة تستغرق ستة اشهر في الذهاب ومثلها في الاياب، فحين عادت الى بغداد، استقبلت بالحفاوة البالغة، وكانت موضع اهتمام اهلها وجيرانها، فكان منشدا ودليلا، وصارت كلمة (الحجية) على كل لسان: يم بيت الحجية.. كبال بيت الحجية.. بصف بيت الحجية.. وهكذا عرف هذا البيت الذي ولد ونشأ فيه (عزيز) فاشتهر ماضيا، ويشتهر اليوم لقبا مرموقا.

جريدة الاتحاد نيسان 1985

في دار الدكتور عبد المجيد القصاب عند الاحتفال بعودة الشيخ جلال الحنفي من بكين عام ١٩٦٧ ويبدو في الصورة سالم الالوسي، مير بصري، جعفر الخليلي، عبد القادر البراك، خاشع الراوي، عزيز الحجية، الشيخ الحنفي، الدكتور القصاب

والدتي اوحت الي بكل ما كتبت من "بغداديات"

بستان الربع والسبيلخانة والمرمرة المفقودة!

كدت اصبح تاجرا لولا (المعاميل) الذين اكلوا المال ورأس المال.. وكادوا ياكلونني ايضا..

بطاقتي الشخصية

الاسم الكامل: عزيز جاسم الحاج محمد خلف الحجية
تاريخ الميلاد: رمضان ١٣٣٩ هـ / ١٩٢١م
مسقط الرأس: بغداد – حمام المالح – منطقة الفضل.
اسم الام: حياة عبد الوهاب القره غولي
الحالة الاجتماعية: متزوج (منذ ١٩٥٠/١٢/١٥) وله ست بنات كبراهن (حياة).

من اليمين: الحجية، الدكتور اكرم فاضل، الدكتورة دومنيك شامبو، عبد الحميد العلوجي

توفيق وهبي والحادثة التي لا ينساها

رفعة عبد الرزاق محمد

في عام ١٩٨٥ عرفني المرحوم عبد القادر البرّاك ، فقيد الصحافة والادب ، على احد الصحفيين العراقيين البارزين في الجيل الماضي ، وهو الاستاذ منير رزوق ، المتوفى عام ١٩٨٩ . فأجريت معه بعض الاحاديث التي لها صلة بتاريخه الصحفي والادبي ، فذكر العديد من ذكرياته ومروياته الطريفة . ومما حدثني به انه اجرى حديثا مع الاستاذ العلامة توفيق وهبي (١٨٨٩-١٩٨٤) مع مجموعة من وجوه المجتمع العراقي في الخمسينات من القرن الماضي ممن تسنموا مراكز سياسية وعلمية مختلفة . وقد تفضل الاستاذ رزوق وقدم لي ماسجله من حديث مع توفيق وهبي ، وما تضمنه من ذكريات وانطباعات وتداعيات شائقة . ومن هذه الذكريات ما اجاب به السائل عن حادثة عجيبة صادفته في حياته ، وكان لها الوقع العميق في نفسه .

ذكر الاستاذ توفيق وهبي انه في سنة ١٩١١ ، أنتُدب مع عدد من الضباط في الجيش العثماني ، لتقديم اسلحة للثوار في ليبيا لمساعدتهم في حربهم ضد الايطاليين ... وبينما كانت البعثة تسير في صحراء ليبيا ، اذا بتوفيق وهبي يفقد اصدقاءه وسط الصحراء القاحلة ، وعبثا فتش عنهم وبحث وكأن الارض قد انشقت وابتلعتهم . فتاه في الصحراء ، ولم يكن معه من زاد سوى رغيف خبز وقليل من (الحلاوة) . وكانت معه ايضا بوصلة صغيرة راى فيها الامل الوحيد في النجاة . ومضى يسير على هديها الساعات الطوال فوق الرمال الجافة ، وكان اشد ما يخيفه ان تهاجمه الذئاب على حين غرّة ، ولم يجد عنده من سلاح سوى سكين صغيرة ، كما كان اشد ما يحيره انه ما كاد يسير قليلا حتى يجد نفسه في المكان نفسه الذي بدأ منه ، ومضى على هذه الحالة نهارا كاملا وليلة ، فأيقن انه كتب عليه ان يموت فوق رمال الصحراء ، بعيدا عن وطنه وأهله .

ولكن .. قبيل انبثاق الفجر ، وبينما كانت افكار الموت تراوده ، اذ به يسمح نباح كلاب ، فكان لهذا النباح رنينا خاصا في أذنيه بعث الى نفسه الامل في الحياة من جديد ، فأخذ يعدو بكل قوته نحو مصدر النباح وهو يكاد يطير من الفرح ، وبعد قليل شاهد الكلاب فأخذ يصيح عليها ويدعوها اليه ، فحسبت الكلاب انه يتحداها فهاجمته ، ولكنه لم يلق بالا لهجومها ، بل حاول احتضانها . وبعد ذلك عثرت عليه جماعة من البدو فأكرموه ثم دلوه الى حيث رفاقه ... ورغم مرور عشرات على تلك الحادثة ، فقد بقي حتى الان (اجري الحديث سنة ١٩٥٧) ، ما يكاد يسمع نباح الكلاب ، حتى يتذكر الحادثة .

ويروي الاستاذ توفيق وهبي انه بعد تلك الحادثة بسنوات ، اضطر الى الهرب من السليمانية اثر اضطرابات وقعت فيها ، وقد تاه في الجبال كما تاه من قبل في الصحراء ، ولم يكن معه سوى مرافقه ، وهو جندي صغير اخذ يبكي عندما وجد بأنهما قد تاها بين الجبال ، فأخذ توفيق وهبي يهدىء من روعه ، وروى له حادثة الصحراء في ليبيا لتقوية معنوياته . يذكر وهبي : ان ما اثار عجبه وأستغرابه انه ما كاد يصل في رواية الحادثة الى خاتمتها ، حتى سمع نباح الكلاب رددت صداه الجبال ، فصاح بمرافقه الشاب : ابشر فقد نجونا !!

×××××

ولد الاستاذ توفيق وهبي بن محمود في اسرة كردية معروفة باسم خضر بيك ، عام ١٨٨٩ في مدينة السليمانية .وتخرج في المدرسة العسكرية في اسطنبول برتبة ملازم ثم دخل مدرسة الاركان وشارك في معارك الحرب العالمية الاولى . وبعد انتهاء الحرب عاد الى بلدته عام ١٩١٩ وانخرط في صفوف قيادة الشيخ محمود الحفيد مرافقا للحفيد في المرحلة الاولى من الحركة الكردية في العراق . وفي المرحلة الثانية من تلك الحركة ١٩٢٢ – ١٩٢٥ كان توفيق وهبي احد قادة الحركة ... تولى امرية الكلية العسكرية عام ١٩٢٩ قبل ان ينتقل الى الخدمة المدنية متصرفا للواء السليمانية في السنة نفسها ، ثم تدرج في المناصب الحكومية حتى اصبح وزيرا للاقتصاد في وزارة حمدي الباججي الثانية عام ١٩٤٤.

عشق توفيق وهبي البحث في تاريخ الكرد وادابهم ولغتهم ، وكان من القلائل الذين يعرفون اللغات الشرقية القديمة ، وكتب في ذلك العديد من البحوث التاريخية القيمة . وهو ايضا من اوائل اعضاء المجمع العلمي العراقي منذ تاسيسه عام ١٩٤٨ ، كما كان له مجلس حافل ببغداد ، تختلف اليه طبقات مختلفة من رجال الدولة والوزراء والادباء والعلماء .

اوصى توفيق وهبي ان يدفن عند جبل (بيرة مكرون) المطل على مدينة السليمانية ، وقد اصيب في اواخر حياته بالفالج ، وبقي طريح الفراش بعد وفاة زوجه السيدة اسيا الريزلي ، احدى اعلام النهضة النسوية في العراق ، حتى ادركه الموت في الخامس من كانون الثاني ١٩٤٨ . وقد صدرت مجموعة بحوثه ومقالاته في مجلدين عن مؤسسة (زين) في السليمانية اخيرا .

ذاكرة عراقية

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

مدير التحرير: علي حسين
هيئة التحرير: باسم عبد الحميد حمودي ـ رفعت عبد الرزاق
الاخراج الفني: نصير سليم التصحيح اللغوي: مروان عادل

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون